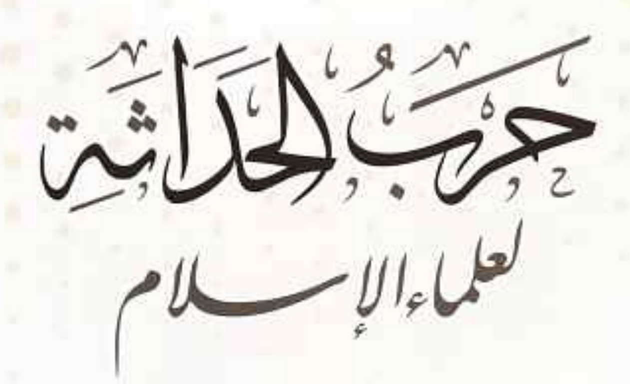


حرب الحداثة لعلماء الإسلام

الإمام محمد بن عبد الوهاب نموذجا



تأليف

دكتور

مصطفى حلمي

أستاذ العقيدة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

رئيس قسم العقيدة الإسلامية بكلية دار العلوم - سابقا

الفائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية





حرب الحداثة

لعلماء الإسلام



اسم الكتاب	حرب الحداثة لعلماء الإسلام
اسم المؤلف	د. مصطفى حلمي
رقم الطبعة	الأولى
سنة الطبع	١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م
عدد الصفحات	٦٤ صفحة
المقاس	١٧×٢٤
رقم الإيداع	٢٠٢٢/٣٧٣١م
الترقيم الدولي	I.S.B.N. 978.977.6900.32.0



شارع ٤٩١- طفلنتيا - أرض شاطلوس متفرع من شارع مصطفى كامل
شارع عمر متفرع من شارع أبي سليمان امام مسجد الخلفاء الراشدين
شارع ابراهيم الشريف - ظفر عبده - بجوار مسجد الفتح الإسلامي
شارع ابو رتيس - متفرع من جمال عبد الناصر - سيدي بشر - امام قلعة جمعية الدعاة
٠١٠٠٥٠١٣٦٣١ - ٠١١٢٦٥٠٦٩٦ - ٠١٠٩٤٥٥٥١٥٧ - ٠١١١٨١٧٦٩٣١
واسلونا على صفحتنا على فيسبوك "دار الخلفاء الراشدين"



لعلماء الإسلام

«الإمام محمد بن عبد الوهاب نموذجًا»



توزيع

دار الخلفاء الراشدين — دار الفتح الإسلامي

شارع ٤٩١ - كفشيشا - أرض شلقوس متفرع من شارع مصطفى كامل

شارع عمر متفرع من شارع أبي سليمان أمام مسجد الخلفاء الراشدين

شارع إبراهيم الشريف - كفر عبده - بجوار مسجد الفتح الإسلامي

شارع أبو رديس - متفرع من جمال عبد الناصر - سيدي بشر - أمام قلعة جمعية الدعوة

[illegible]


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله.

اما بعد: فما زالت موجات الغزو الفكري تتوالى وتشتد هجماتها وهي في صورتها الحالية -أي الحداثة- تضع علماء الإسلام في مواقع قذائفها فتشنها حربًا مشتعلة كما تستهدف تراثنا الإسلامي بثوابته وتاريخه.

ولا يسع المرء منا -أمام هذه الحرب الضروس- الوقوف متفرجًا أو عدم الاكتراث بها بوازع الإيمان بأنها إحدى الموجات العدائية التي تعرض لنا تاريخنا كله منذ بعثة النبي ﷺ وحتى القضاء على الخلافة الإسلامية في العصر الحديث بواسطة اليهودي (كمال الدونمي) أتاتورك عام ١٩٢٤م[١]، وبدءًا بغزوات التتار التي دمرت الديار وقضت على الأخضر واليابس وخاضت في دماء المسلمين بكافة ديارهم، ثم الحروب الصليبية المتوالية التي باءت بالفشل وجرَّتْ أذيالها بالهزيمة القاضية بواسطة البطل المجاهد صلاح الدين الأيوبي.

ثم تجددت في عصرنا واشتد لهيبها متعاونة مع الصهاينة باحتلال أرض فلسطين وتشريد أهلها والمضي قُدُمًا في التوسع (من النيل إلى الفرات) وما زالت جرائمها مستمرة

---

(١) قال إسحاق بن زين رئيس إسرائيل في كتابه «الدونمة» ١٩٥٧: «إن يهودًا كثيرين وكثيرين جدًّا يعيشون بين الشعوب بطبيعتين: إحداهما (الدونمة) ظاهرة؛ وهي اعتناق دين هذا الشعب اعتناقًا جماعيًا وظاهريًا... والثانية بطانة؛ وهي الإخلاص العميق لليهودية» د/ فهمي الشناوي «مصرع الخلافة العثمانية» (ص٦٧) - المختار الإسلامي ١٩٩٥م.

منذ حريق المسجد الأقصى ومذابح صابرا وشاتيلا وحصار غزة وتجويع أهلها بتأييد من الولايات المتحدة الأمريكية (وباقي دول أوروبا) ومعونات اقتصادية بالأموال والأسلحة المتطورة الفتّاكة، والدفاع عنها في هيئة الأمم ومجلس الأمن، والتهديد علناً بنسف من يجرؤ على مقاومتها[1]!

ومن أبرز ملامح العصر هو إعلان الحرب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين تحت شعار كاذب باسم (الإرهاب) كما أجمع كافة المراقبين على ذلك، حتى أصدر الدكتور جلال أمين كتابًا بعنوان (عصر التشهير بالعرب والمسلمين) ثم سنحت الفرصة للولايات المتحدة بعد أحداث ١١ سبتمبر لغزو العراق وأفغانستان[2].

(١) سبق بأن صرّحت زوجة كلينتون في إحدى خطبها الانتخابية بأنها مستعدة لإلقاء القنبلة الذرية على أي دولة عربية تهدد إسرائيل! ومن المتفق عليه بين رؤساء أمريكا جميعًا على إعلانهم صراحة أنهم لن يسمحوا لأحد بالاعتداء عليها! وأن الحفظ على أمنها هو هدفهم الذي لا يحيدون عنه!

(٢) وقد صدرت عدة بحوث ودراسات ومؤلفات حول تلك الأحداث، ولعل أهمها وأشملها كتاب كيفين بارت بعنوان (ملحمة نضالي لفضح أكذوبة ١١ سبتمبر -الجهاد في سبيل الحقيقة-)، والعنوان بذاته دال على مدى الجهد الذي بذله المؤلف في جمع الأدلة والبراهين، والاستناد إلى أقوال المحققين، ونذكر بعضها فيما يلي:

- سرق أعوان بوش الانتخابات باستخدام تكنيكات فاشية قائمة على (الفتوة) وتزويرات حاسية مع وجود فوز واضح لكيري بنسبة ٥٣٪ مقابل ٤٧٪. (ص١٠٨).

- إن الإمبراطورية الأنجلو/ أمريكية تشن باستمرار الحروب كلما رأت نافذة استراتيجية منها.. ولقد لفق بوش الأكاذيب ومات مليون شخص بالعراق، تمامًا كما فعل والده (ص٥٦).

- أحصى دايفيد جريفن في كتابه ١١٠ ثقب في الكذبة الكبرى المكونة من ٥٧١ صفحة والمسماة (تقرير لجنة ٩/١١) (ص٦٥).

- يكاد يكون من اليقين أنه لم يكن هناك مختطفون في ٩/١١ لم تكن هناك أية أسماء عربية على قوائم المسافرين... ومن ثم فتلك التقارير زائفة تمامًا مثل جواز سفر محمد عطا الذي وُجد بالشارع (ص١٠٩).

= - إن تتبع حركة بيع أسهم شركات الطيران والتي تبرهن على علم مسبق بهجمات ٩/١١ إلى البنك كان يمتلكه بازي كرو نجارد المدير التنفيذي للسي أي إيه. أبلغ شهود عيان كثيرون عن انفجار مفرقعات في برجي مركز التجارة العالمي، وأن البرج ٧ قد تم هدمه عمدًا (ص١٦٠).

- دايفيد جريفين أحد أبرز علماء اللاهوت المسيحي الأمريكيين نشر مؤخرًا كتابين ضمَّا الأدلة الكثيرة على أن ٩/١١ طبخة داخلية. الكتابان هما «بيرل هاربر الجديدة» أسئلة مقلقة عن إدارة بوش و٩/١١ وكتاب «تقرير لجنة ٩/١١ بين الإغفال والتمويه» (ص٢٢٧).

- يشبه المؤلف تقرير ٩/١١ المزيف بما حدث في مقتل الرئيس الأسبق جون كنيدي وقال: «قمت بقراءة بعض الوثائق والكتب حول هذا الموضوع ووصلت إلى قناعة أنه قد حدثت عمليات تغطية وتمويه بعد مقتل الرئيس، وبذلك تمت حماية القتلة الحقيقيين» (ص٥٥).

- عُقد مؤتمر في يونيو عام ٢٠٠٦م ضم شخصيات قوية وذات تفكير مبدع... وضم أكثر من الستمائة شخص... وكان منهم جيمي فترز وهو من أسس جماعة «الأكاديميين من أجل حقيقة ٩/١١».. وأثبت أنها طبخة داخلية، ودعا لانتفاضة شعبية لاستعادة الدستور (ص١٥٨، ١٥٩).

- قام أحد عملاء السي أي إيه بزيارة أسامة بن لادن بالمستشفى الأمريكي في يوليو عام ٢٠٠١م، ثم تبين أن الفيديوهات التي تصوره يعترف بارتكاب ٩/١١ جميعها زائفة.

والكتاب يقع في ٢٨٨ صفحة من القطع الكبير، وقد خلص إلى القول بأن إدارة بوش / تشيني قد فجرت البرجين التوأم وقتلت آلاف الأمريكيين وتروج لفوبيا الإسلام (ص١٤٨)، وقال: «لم يكن اهتمامهم هو فقط إطلاق حرب واحدة واسعة سريعة على أفغانستان، وأخرى على العراق كانوا يسعون إلى الحرب التي لا تنتهي أثناء حياتنا حرب مستمرة تقضي على الحريات الدستورية للأمريكيين، وتُزيد الإنفاقات بقدر هائل، وتُضفي المشروعية على الهجوم ضد بلدان الشرق الأوسط لعقود مستقبلية قادمة لحساب توسع إسرائيل وهيمنة البترو دولار الذي تعتمد عليه تلك الحروب» (ص٢٨١). ط. سطور الجديدة الأولى ٢٠٠٨م، ترجمة: د/ فاطمة نصر.

وأما عن التشهير بالعرب والمسلمين فقد فات الدكتور جلال أمين الكثير من أعمال العداء التي تشنها هوليود وحدها؛ إذ أنتجت ما بين عامي ١٩٨٦ و١٩٩٥م ما بين ١٥ إلى ٢٠ فيلمًا أسبوعيًا، وأظهرت صورة بغيضة للعرب والمسلمين في أكثر من ١٥٠ فيلمًا. د. سامي الدلال «الإسلام والعولمة» (ص٧١) - كتاب (البيان) ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

وعن التطورات الأخيرة في الغزو العسكري الأمريكي على العراق وأفغانستان كتب الأستاذ فاروق جويدة مقالًا ضافيًا -علَّل فيه الغزو- بأنه لم يكن إقامة الديمقراطية كما كان الشعار المعلن للولايات المتحدة، ولكن الحصول على ثروات الشعوب واستغلال مواردها.

وكذلك أعلنت -زورًا وغطرسةً- أن تحقيق الديمقراطية في أفغانستان سيكون انتصارًا على النموذج الإسلامي المتخلف المستبد... ولكن بعد عشرين عامًا من الاحتلال كان الخروج المُهين للجيش الأمريكي من أفغانستان... وأخذ الجيش الأمريكي أنصاره وهرب رئيس أفغانستان ومعه تلال من الحقائب المليئة بالأموال... وكان رد الرئيس الأمريكي بايدن -وهو يعترف بالفشل- ويؤكد أنه لن يضحي بمزيد من شباب أمريكا في حرب خاسرة، وأن أمريكا دفعت بلايين الدولارات في مغامرة فاشلة... فقد اقتحمت طالبان القصر الجمهوري وعادت تسيطر على كابل مرة أخرى!

ثم قال الأستاذ جويدة في نهاية مقاله (بعد عشرين عامًا) فشلت أمريكا في تغير ثوابت شعب من حقه أن يعيش كما يحب سلوكًا وأمنًا ودينًا وعقيدةً... من حقه أن يحافظ على خيرات وطنه ومن حقه أن يدافع عن ترابه ضد كل معتد جبّار... إن أمريكا الآن تواجه محنة ترحيل قواتها أمام الوقت والعدد والإمكانات، وهي في النهاية لم تحقق شيئًا، فلا هي تخلّصت من طالبان ولا هي غيرت الشعب الأفغاني... ولا هي قضت على الإسلام فيه... كلها معادلات خاسرة»[1].

---

(١) فاروق جويدة «أمريكا وفشل استنساخ الديمقراطية» الأهرام في ٢٧/ ٨/ ٢٠٢١م (ص١٣).
وقال كيسنجر -وزير الخارجية الأسبق لأمريكا- (ما يحدث في أفغانستان -انتكاسة أمريكية طوعية-) نفس المصدر (ص٧).
هذا وقد قام الدكتور محمود سليمان بدراسة تفاصيل الحرب على أفغانستان وما قامت به القوات الأمريكية من عمليات القمع الوحشي، وقد تجسدت في أفغانستان في نموذج مأساة قلعة جانجي، =

ولكن مع تلك المعادلات الخاسرة عسكريًا فإنها لن تثني الولايات المتحدة عن مواصلة (الحرب الفكرية) و(الغزو الثقافي) وهما أشد خطرًا وأقوى أثرًا، فقد تسربت تقارير صحفية من دوائر غربية عديدة توضح أن التصادم مع الحالة الإسلامية غير مجد، بل قد يعمق من مشاعر العداء مع الغرب ويكسب المتشردين زخمًا شعبيًا أكثر، والطريقة الجديدة المقترحة بواسطة بولادوير باتسكي، وهي مسئولة كبيرة في الخارجية الأمريكية هو العمل على احتواء الحالة الدينية في العالم الإسلامي.

ويقول الأستاذ جمال سلطان: «هذه هي المرة الأولى الذي تطرح فيه صراحة البحث في وضع آليات منتظمة ومؤسسة لرشوة رجال الدين والمفكرين المسلمين من أجل الترويج للقيم العصرية الغربية...

وقد تدخلت الولايات المتحدة في باكستان لإنشاء سلسلة من المدارس الدينية العصرية تكون بديلة للمعاهد الدينية التقليدية، وتخرّج رجال دين يقبلون بالقيم الغربية الحضارية ويروجون لها في المجتمع الإسلامي»[1].

= على مشارف مزار شريف وهي القلعة التي كانت تضم مجموعة من أسرى العرب والأفغان قُدِّر عددهم بنحو ثمانمائة أسير؛ حيث قامت الطائرات بقصف مكثف للقلعة بالصواريخ لتقتحمها بعد ذلك قوات تحالف الشمال وتمارس أبشع مجزرة لجموع الأسرى، وبعضهم كان مقيد اليدين وبدلًا من أن تعطي القوات الأمريكية المثل أو القدوة في سلوكيات القتال الحضارية، شاركت تحالف الشمال شهوته في الانتقام والتمثيل بخصومه وأسراه، متجاهلة أحكام القانون الدولي في معاملة أسرى الحروب وخاصة اتفاقيات جنيف الأربع لعام ١٩٤٩م. [د. محمود سليمان «عشر سنوات غيّرت العالم» (ص٢٤٧) - كتاب «الهلال» - مايو ٢٠٠٤م].

(١) جمال سلطان «مذكرات مسلم... عن الحملة الأمريكية» (ص، ٩) مجلة (المنار الجديد) شوال ١٤٢٢هـ - يناير ٢٠٠٢م.

ويقول: «وقد كشفت الأيام والاعترافات كيف أن المخابرات الأمريكية كانت تمول نشاطات بعض الشخصيات والجمعيات الأدبية الداعية إلى الحوار والحداثة وبعض المجلات الأدبية مثل (الحوار) وقد اندثرت بعد الفضيحة» (ص٨).

ويحذّر الأستاذ جمال سلطان من النشاطات الداعية إلى التسامح الديني والحوار الثقافي ونحو ذلك.. **يحذّر من المخاطر الفادحة على الوعي والفكر الإسلامي وعلى مستقبل الأجيال المسلمة**[1].

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال:٣٠].

بعد أن شرح العلامة السعدي في تفسيره سبب نزول الآية الكريمة وكيف أنقذ الله تعالى الرسول ﷺ من خطة المشركين لقتله، قال: «وضع الله رسوله ﷺ منهم وأذن له في الهجرة إلى المدينة، فهاجر إليها، وأيده الله بأصحابه المهاجرين والأنصار، ولم يزل أمره يعلو حتى دخل مكة عنوة، وقهر أهلها فأذعنوا له، وصاروا تحت حكمه، بعد أن خرج مستخفيًا منهم، خائفًا على نفسه، فسبحان اللطيف بعباده الذي لا يغالبه غالب»[2].

وقال تعالى: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة:٢١]، ﴿ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الشعراء:٤٤].

إن هذه الآية وأمثالها تبعث فينا الأمل بنصر دينه، ولا منقذ لنا أمام الحروب الفكرية إلا الاستمساك بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وبالله التوفيق.

نسأل الله الكريم، رب العرش العظيم أن ينفع المسلمين بهذا الكتاب، وأن يجعل عملنا خالصًا لوجهه الكريم، ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود:٨٨].

مصطفى بن محمد حلمي

الإسكندرية في ٢١ محرم ١٤٢٣هـ

٢٩ أغسطس ٢٠٢١م

---

(١) نفسه.

(٢) تفسير السعدي (ص٢٩٩)، «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» ط. مكتبة الصفا بالأزهر ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

الباب الأول

الحداثة إعمال العقل في النص الديني حسب الهوى

الحداثة وعمادها:
إعمال العقل في النص الديني حسب الهوى[١]

كثر اللغط حول الحداثة وتزعمها أحد مثقفينا[٢]... وقد رأينا إيضاح الوجه الآخر من المصطلحات والوقائع التاريخية التي ذكرها، إذ خلط بين مصطلح (الأصولية) في الغرب، و(السلفية في التراث الإسلامي)، وكانت رؤيته لابن رشد أنه (يرى الظاهر والباطن في النص الديني).. (لذلك اتهمه ابن تيمية بالكفر)[٣]، ويقترح على المثقفين تقديم خريطة لتغيير الذهنية المصرية من الأصولية إلى «التنوير» بتعديل الخطاب الديني!

ومما قاله: «إننا نعيش في القرن الـ١٣ وليس القرن ٢١ لأنه قرن ابن تيمية... وتأثيره ممتد حتى القرن الـ١٨ لأنه وراء نشأة الوهابية في القرن الـ١٨»!!.

وتتضمن هذه الفقرة -على قصرها- مغالطات لا تخفى على القارئ اللبيب، مغالطات منهجية وعقدية وفلسفية، سنكشف عنها تفصيلًا فيما يلي:

أولًا: لا علاقة سببية للعصر والعصرنة والمعاصرة في قيام نهضة أو ارتقاء حضاري، فإن العصر بما فيه الزمان والمكان ووسائل الإنتاج والمعيشة هو موضع للتفكير وليس

---

(١) والنموذج الصارخ لهذا المنهج المنحرف هو ما قام به د/ نصر حامد أبو زيد عندما أخضع القرآن الكريم لمناهج النقد الأدبي الحداثية -في بعض دراساته- ووصفه بأنه (منهج ثقافي)!!!
[يُنظر: ملحق الكتاب رقم (٢)].

(٢) وهو د/ مراد وهبة (٩٥ عامًا) أستاذ الفلسفة بجامعة عين شمس في حواره مع محررة بصحيفة الأهرام بتاريخ ٢٠/٨/٢٠٢١م.

(٣) وهذا القول يكذّبه ابن تيمية نفسه حيث كان يقول في أواخر أيامه: «أنا لا أكفر أحدًا من الأمة» ويقول أيضًا: قال النبي ﷺ: «**لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**» فمن لازم الصلوات بوضوء فهو مسلم.
المصدر: الذهبي «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٨٨).

مصدرًا للتفكير، فبالطريقة العلمية التجريبية يدرس الإنسان الواقع (إن أنظمة الله للكون والإنسان والحياة ليس لها علاقة بالعصر والعصرنة والمعاصرة، وأن دور الإنسان ينحصر في فهم الواقع ودراسته، تجربة واستقراءً واستنتاجًا، من أجل الإبداع في مجالات الحياة ووسائلها)[١].

إن سبب نهضة العرب هو الإسلام (الإسلام أنهض العرب والشعوب الأخرى التي اعتنقته بعقيدة تملأ العقل قناعة والقلب طمأنينة، وهي (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) أي أن للكون والإنسان والحياة خالقها هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا الخالق خَلَقَ ونَظَّمَ... وإن البشر مكلفون بالاجتهاد في فهم النصوص واستنباط الأحكام لمعالجة مشاكلهم التي لا تنتهي باجتهاد مستمر...)[٢].

وتعليل نهضة العرب بالإسلام حقيقة تاريخية راسخة تتحدّى الحداثيين، وكانت من إلهامات عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذ قال: «... إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقلّ الناس، فأعزّكم الله بالإسلام، فمهما تطلبُوا العز بغيره يذلّكم الله»[٣].

وسنعرض -بمشيئة الله تعالى- لنص قول الإمام الشافعي بالشروط التي وضعها تفصيلًا لمن يفتي في دين الله تعالى، وهي محكمة ومصاغة صياغة كاملة من إمام من أئمتنا الكبار، ويكفيه فخرًا أنه مؤسس علم (أصول الفقه) بكتابه الشهير (الرسالة).

وربما يظن الدكتور/ وهبة أنه عندما يضع عَلَمين من علماء الإسلام الأفذاذ في هذه الصورة التي تخيلها هو -يظن أنه سينفّرنا منها- ولكنه أخطأ أيضًا بسبب نقص اطلاعه

---

(١) د/ منير محمد طاهر الشواف (تهافت الدراسات المعاصرة في الدولة والمجتمع) (ص١٦) ط. دار الشواف - بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢) نفسه (ص٢٢١).

(٣) ابن الجوزي «مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (ص١٧٠) مكتبة الأسرة - ٢٠٠٠م.

على التراث الإسلامي؛ إذ يتضح أن كلًّا من ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب، يتضح لمن يطلع على تاريخ حضارتنا -باستيعاب وفهم- أنهما مجدّدان؛ لذلك فإن أهل السنة والجماعة يتخذانهما -ضمن غيرهم من العلماء- كأسوة لكي يتأكد لديهم أيضًا استمرارية الاستمساك بعقيدة أهل السنة والجماعة لتسليمها للأجيال القادمة.

ولتعذُّر الاطلاع على مؤلفات ابن تيمية التي تُعد بالمئات، نوصي بالاطلاع على كتابي كلّ من المستشرق هنري لاوست (النظريات السياسية والاجتماعية لابن تيمية)، وكتاب (تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية) للشيخ مصطفى عبد الرازق؛ إذ قال: «إن الدراسات المنطقية لو سارت منذ عهد ابن تيمية على نهجه في النقد بدل الشرح والتعمق، لكنّا بلغنا من الرقي مبلغًا عظيمًا»[1]!

وقبل القراءة -أشترط شرطًا واحدًا أراه ضروريًّا لكي يصل الدكتور/ وهبة من قراءته لابن تيمية، وهو خلع عنه رداء التحيز، وهذا ما سبق أن فعله الأستاذ أنيس منصور، بعد مقدمة عن حاجتنا إلى العودة إلى الله تعالى، فقال: «وأعتقد اعتقادًا راسخًا أننا الآن أحوج ما نكون في عصر من العصور إلى العودة إلى الله وإلى فهم الإسلام فهمًا حقيقيًّا... والتفهم الحقيقي أن نقترب منه بالفعل... فإذا فعلنا وجدناه صالحًا لمقتضيات العصر».

ثم استطرد ليقول لمحدثه: «ويدهشك جدًّا أن تعرف أني اتفقت مع أحد الناشرين على تأليف كتاب عن الإمام ابن تيمية، أو بعبارة أخرى لتوضيح فكر هذا الإمام في شرح مبادئ الشريعة الإسلامية شرحًا عصريًّا، **فقد وقع الكثيرون في الخطأ عندما قرأوا ابن تيمية ولم يفهموه**، واقتطعوا من فلسفته الشاسعة العميقة الكثير من الآراء التي تتناق

(١) د/ علي سامي النشار، «مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي»، (ص٣٠٣)، دار المعارف بمصر ١٩٦٥م.

معهم، فهو عقلية موسوعية نادرة في تاريخ الفكر الإسلامي!! ويستطيع أي إنسان أن يخرج بما شاء من فهم الدنيا والآخرة، وهو بذلك شخصية فذة، تغري أي مفكر أن يجرّب حظه معه... وسوف أفعل ذلك إن شاء الله»[1].

ويبدو من حديث الأستاذ أنيس منصور أنه قرأ لبعض المفترين على ابن تيمية، وهو ما لاحظه أيضًا الشيخ أحمد محمد شاكر بقوله -مخاطبًا الشيخ محمد حامد الفقي-: (تزاملنا وتآخينا منذ أكثر من خمس وأربعين سنة، لله وفي سبيل الله، نصدر عن رأي واحد، وعقيدة سليمة صافية في الاستمساك بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ لا نحيد عنهما ما استطعنا، وفي نُصرة العقيدة السلفية والذب عنها ما وسعنا ذلك... ولعلنا -فيما قمنا به معًا- من أول العاملين على نشر العقيدة الصحيحة في بلادنا هذه... ثم بيّن المصادر العلمية التي جمعتهما -بعد الكتاب الكريم والسنة المطهرة- وهي كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه الإمام الحافظ ابن القيم، ثم كتب شيخ الإسلام (مجدد القرن الثاني عشر) محمد بن عبد الوهاب، رحمهم الله جميعًا.

وعاد إلى شرح ما كتبه الناس عن ابن تيمية من مؤيديه وأتباعه ومن خصومه وأعدائه أن وجدنا رجلًا يفترى عليه عدوّه الفرى، ويرمونه بالأكاذيب، ويُقَوِّلُونه ما لم يقله، وينسبون إليه ما لم يفعل، بفعل العصبية الجامحة والحقد الذي ملأ قلوبهم... وقال: ولكني فيما قرأت لم أجد أحدًا من الناس، متقدمهم ومتأخرهم رمى شيخ الإسلام بالكذب فيما يحكي أو ينقل، أو بالوهم والتخيل فيما يرى ويسمع ويقول)[2].

---

(١) مأمون غريب، «مع مشاهير الفكر والأدب» (ص٣٨، ٣٩) سلسلة اقرأ - دار المعارف بمصر - ١٩٨٤م.

(٢) جمهرة مقالات العلامة أحمد محمد شاكر، (١/ ٣٩٣، ٣٩٤) جمعها: عبد الرحمن العقل، ط. دار الرياض بالقاهرة ٢٠٠٥م.

كذلك نعلّل خلط د/ وهبة بين الأصولية في الغرب والسلفية في الإسلام بسبب افتقاره للمنهج العلمي الصحيح في مجال مقارنة الأديان.

فمن أولويات البحث العلمي أن يتسلح الباحث بالمعرفة الشاملة والدقيقة للموضوع الذي يقدم على بحثه، والسلفيون حريصون على الاستمساك بالإسلام والعض على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ بالنواجذ، وهم على اقتناع بالأدلة العقلية الشرعية بأن الإسلام له ذاتيته الخاصة التي تميزه عن سائر الأديان، وهم متسلحون بالبراهين المثبتة لفوزه بأعلى الدرجات إذا وازناه مع غيره من الأديان وفق منهج مقارنة الأديان، وهذه البراهين من مفاخر السلفية التي جذبت إليها الآلاف، وكانت سببًا في دخول بعض الغربيين في الإسلام.

وعندما يفتقد الباحث التصور الصحيح للإسلام ومعرفة حقيقة المنهج السلفي الذي يحافظ على تطبيقه، يقع في تجاوزات تجعله يخلط بينه وبين تاريخ غيره من الأديان.

لذلك لاحظنا -على سبيل المثال- تكرار الحديث في مقال له سابق عما يسمى (بالمؤسسة الدينية)، و(السلطة الدينية)؛ مما ينافي الحقائق التاريخية، فليس في الإسلام مؤسسات دينية بكيانها المعروف في تاريخ المسيحية (المجامع الكنسية).

كذلك فإن تتبع مصطلحات السلفية والأصولية والعلمانية أثناء عرض التاريخ الديني للعوالم الإسلامي والمسيحي واليهودي[1] يغفل حقيقة ما يتميز به الإسلام من سمات وبراهين خاصة لا يشاركه فيها أي دين آخر.

(١) مقال بعنوان (سلفية فأصولية فعلمانية) وينتهي بتقرير أن المؤسسة الدينية أيًا كانت ملتها تمر بمراحل ثلاث وهي: السلفية فالأصولية فالعلمانية! (ص٣٤)، بقلم د. مراد وهبة، (مجلة الديمقراطية) ملف العدد ٣٨ بعنوان (السلفية في العالم العربي... محاربة الحداثة) ٢٠١٠م.

ثانيًا: لا يُتصور منطقيًا ومنهجيًا تجاهل أربعة عشر قرنًا من الزمان بما فيه من علماء مجددين وقادة بارزين، وما أبدعوا فيه من مؤلفات وكتب ودراسات تجل عن الحصر.. لا يُتصور الغض عن ذلك كله وإصدار الحكم بالنظر إلى عالمين فقط، أحدهما ابن تيمية، والثاني محمد بن عبد الوهاب!! مع إغضاء الطرف عن التيار السلفي الهادر الذي يضم الملايين والمستمسكين بعقيدة أهل السنة والجماعة، فضلًا عن الخطأ المنهجي المعيب في المساواة بين (الأصولية) في تاريخ الغرب الديني، و(السلفية) في تاريخ الإسلام[١].

هذا من المنظور العقدي، أما من المنظور الحضاري فإنه أشد غرابة ودال على ضحالة المعلومات والقصور في الاطّلاع الواجب على فيلسوف يعلم مناهج البحث العلمية، ودعنا من التحيّز الواضح في الرأي المتأثر بنظرة المستشرقين وأحكامهم الجائرة على تاريخ الإسلام الحضاري! وقد اتضح أنها ثمرة الحقد الدفين، وهي مجرد أكاذيب ولا صلة لها بالواقع!

تقول العالمة الألمانية زيجرد هونكة في تعليلها: «لقد مُنيت الحملات الصليبية بشر هزيمة للصليبيين المعتدين، بعدما أساءت استغلال الحماس الديني للجماهير في تحقيق خططها التوسعية، وبسط نفوذها وأطماعها السياسية... لقد كانت صدمة نفسية تغلغلت الفرسان وزعزعتهم، إذ هوى الشعور بالثقة والاعتداد بالنفس في هوة سحيقة جريحًا، والكبرياء التي نفخت في أوداجها دعاية مسمومة لا خلاق لها -تقطر مقتًا- وتشعل جذوتها أعلى سلطة ليس لديها شعور بالمسئولية، كل ذلك نما نموًّا متراكمًا مكوّنًا عقدة نفسية غائرة **لا زالت تحكم موقف العالم النصراني في الغرب ونظرته للعرب والنفسية العربية منذ ذلك الحين حتى اليوم!**»[٢].

(١) لمن يريد التوسّع: ينظر كتابنا: «الرد على منتقدي السلفية» ط. دار الأمل بالإسكندرية ٢٠١٠م.
(٢) زيجريد هونكه «الله ليس كذلك» (ص٢٥،٢٤) ترجمة: د/ غريب محمد غريب. دار الشروق - مؤسسة بافاريا - مجلة النور الكويتية ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

كذلك تعلل الأوصاف الكاذبة التي تلصق ظلمًا وزورًا بالإسلام وحضارته بالإسقاط النفسي، وتقوم بتصحيح هذه الصورة بقولها: «ولا مراء أن تاريخ الغرب نفسه يثبت البراهين العكسية الدامغة التي تدحض وتفند التشويهات التي أُلصقت بالإسلام زورًا، والتي تحفل بها كتب التاريخ، حيث تسم الإسلام ظلمًا وعدوانًا بأنه يشكل خطرًا يتهدد البشرية، والحضارة الإنسانية. وحسبك مثال واحد فريد نوعه إبان تلك العصور لتفنيد الوجه المشرق لتلك الميدالية الحالكة السواد، والذي أشرق على البشرية حقبة مباركة لم تكن بالقصيرة، وإنما قرابة ثمانية قرون: تعني إسبانيا!»[1].

هذا، وقد أفردت كتابًا يبرهن على فضل الإسلام على حضارة أوروبا بعنوان (شمس العرب تسطع على الغرب) ويتكون من نحو ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير، سنعرضه باختصار.

مختصر كتاب: «شمس العرب تسطع على الغرب»:

حدَّدت المستشرقة هونكة الغرض منذ البداية في مقدمة الكتاب بأنها أرادت أن تعيد العبقرية العربية، وإتاحة الفرصة لمواطنيها، فرصة العودة إلى تكريمها، كما أرادت أيضًا تقديم الشكر للعرب على فضائلهم.

وكشأن المؤرخين وفلاسفتهم كانت منبهرة من هذه القفزة السريعة المدهشة في سلم الحضارة التي قفزها أبناء الصحراء من اللاشيء، وأصبحت ظاهرة جديرة بالاعتبار في تاريخ الفكر الإنساني... لقد أتى سادة الحضارة الجديدة من قلب الصحراء الجدباء ليتبوءوا فجأة مركز الزعامة بين حضارات العالم، مدة ثمانية قرون. وأمام السؤال: كيف

---

(١) د/ هونكة «ليس الله كذلك» (ص٥٢).

حدث هذا؟ ما هي المقومات التي احتاجها هذا الشعب ليبعث من جديد؟ وما هي العوامل التاريخية والاجتماعية والروحية والفكرية التي كان لابد لها أن تجتمع لتخلق هذه المعجزة التي حققها العرب؟!"[١].

كذلك تصحح معلومات المؤرخين المعادين للعرب على غير حق، الذين يزعمون أن أولئك العرب كانوا قطاع طرق... كلا! إن الظاهرة الجديرة بالدراسة هو أن سبب ضعفهم كان يتمثل في التنازع بين القبائل؛ ومن ثم تفككوا ولم يكن لهم شأن يُذكر... وتقول: "ثم جاء الإسلام فجمع هذه القبائل ليجعل منها في سنوات قلائل شعبًا عظيمًا، آخت بينه العقيدة، وربطت عناصره المحبة، فتهافتوا جميعًا في مناصرة الدين الجديد، وتناسوا خلافاتهم، وساروا يدًا واحدة، يحدو كل فرد منهم أمل باسم مشرق في أن تُكتب له الشهادة في سبيل الله. وبهذا الروح القوي الفتي شق العرب طريقهم بعزيمة قوية تحت قيادة حكيمة وضع أساسها الرسول ﷺ بنفسه، وظلت دائمًا مسؤولة أمام الحكومة المركزية مباشرة. إن انتصاراتهم السريعة المتلاحقة أكبر دليل على الروح الجديد الذي سرى بينهم، وهذا الإيمان هو الذي يفسر لنا ذلك البعث الجديد"![٢].

كذلك تصور أثر خلق العربي وإيمانه ولغته في شعوب البلدان المفتوحة فتقول: "واستطاع العربي بإيمانه العميق أن يكون أبلغ سفير وداعية لديانته، لا بالتبشير وإيفاد البعثات وإنما بخلقه الكريم، وسلوكه الحميد. فكسب بذلك لدينه عددًا وفيرًا لم تكن أية دعاوة مهما بلغ شأوها تستطيع أن تكسب قلبه"[٣].

---

(١) هونكة "شمس العرب تسطع على الغرب" (ص٥٤١)
(٢) هونكة (شمس العرب تسطع على الغرب) (ص٣٥٥).
(٣) نفسه (ص٣٦٧).

وتوضح دور اللغة العربية التي وجدت تجاوبًا من الجماعات وامتزجت بهم، فأعطت للأجناس المختلفة في القارات الثلاث وجهًا واحدًا مميزًا، ثم تعلن على ذلك بقولها: «حقًا إن قدرة هذه العقلية العربية على طبع الشعوب لرائعة»[١]!

وخلال حكم العرب للأندلس الذي دام حوالي ٨٠٠ سنة (ويحددها بعض المؤرخين بألف سنة)، خلقت الأسر العربية الحاكمة للأندلس حضارة زاهرة، تلك الحضارة التي كانت أجمل وأعظم من أن تقارن بغيرها[٢].

وتضيف: «لقد قدم العرب لأوروبا سبل الحضارة وقادوها في طريق النور»، أي أن هذا هو التنوير الحق[٣].

ويتضح من عبارتها الأخيرة أن التنوير الحقيقي -وتقصد به الإشراق- كان مصدره الحضارة الإسلامية.

أما عن حديث د/ وهبة عن التنوير -فإنه يقصد به (التنوير) الغربي، وهو كما وصفه بحق الدكتور/ جلال أمين (**التنوير الزائف**)، وقد بنى هذا الوصف بناءً على تجربته وجيله الذي شاركه نفس التجربة منذ كان طالبًا للدكتوراه في الاقتصاد منذ أربعين عامًا، وقد أجمع هو ومن معه من الطلبة المصريين في لندن حينذاك على الاتفاق على فكرة ملخصها: إن طريق الإنقاذ للمجتمعات المتخلفة واللحاق بالغرب هو أن نظرية روستو في مراحل النمو الاقتصادي هي السبيل لهذا الهدف...

---

(١) نفسه (ص٢٦٨).

(٢) نفسه (ص٤٧٤، ٤٧٥).

(٣) نفسه (٥٤١).

ثم يقرر بصراحة (كنا أصغر أو أحق من أن ندرك وقتها خطأ هذه الفكرة) ويستطرد قائلًا: «ومن المدهش أن البعض لا زال يصدّقها حتى الآن»[1]!

وقد لاحظ أيضًا أن التنويريين في بلادنا العربية تأثروا -ولا يزالون متأثرين- بمفكري التنوير في أوروبا في القرن الثامن عشر... قال: «إن ما رفع لواءه، ويرفعه دعاة التنوير على أنه قيم مطلقة صالحة لكل زمان ومكان، وفي أي ظرف من الظروف قد لا يكون كذلك. لقد غفل دعاة التنوير العرب في معظم الأحيان عن هذه النسبية، وأدّت بهم الغفلة في كثير من الأحيان إلى صور من الشطط كثيرًا ما ترتب عليه ضرر جسيم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، لو تدبَّروا الأمر لانكشف لهم ما اتسمت به وتتسم به حركتهم من شطط»[2].

لذلك، وعلى ضوء تجربة جلية كما أسلفنا، يرتفع د/ جلال أمين صوته ناصحًا **لأن يفيق العرب على حقيقة الحضارة الغربية التي لا يزالون مفتونين بتقليدها**؛ إذ أن الافتتان بها والانبهار النفسي أمام مظاهرها البراقة، هو السبب الأساسي لانهزامهم وانكسارهم السياسي والاقتصادي.

وفي ضوء هذه التجربة التي خاضها معه جيل -أو أكثر- تنكشف عبارة الدكتور وهبة بما فيها من تضليل! إنه على العكس يريد أن يخوض بنا تجربة الغرب الفاشلة، وينصح بالانتقال من (الأصولية) إلى (التنوير الغربي) فإن التاريخ علّمنا أن المطلوب من

---

(١) د/ جلال أمين، «التنوير الزائف» (ص١٧) سلسلة (اقرأ) دار المعارف بمصر ١٩٩٩م.
لمزيد الاطلاع يُنظر كتابنا: «التنوير الإسلامي والتنوير الغربي» ط. الدار العربية - منشا - الإسكندرية - ٢٠٢٠م.

(٢) نفسه، (ص٢٢٧) د/ جلال أمين (مستقبليات) - مصر والعرب والعالم في منتصف القرن ٢١، (ص٨١) كتاب (الهلال) إبريل ٢٠٠٤م.

المسلمين إن أرادوا «التنوير الحق» فعليهم تطبيق الإسلام مرة أخرى بعقيدته وشريعته ومنهجه العلمي الذي كان السبب الرئيس في نهضة الغرب، كما أثبت ذلك مؤرخ العلم الأمريكي جورج سارتون، فقد عرض في كتابه (العلم القديم والمدنية الحديثة) لأهمية العلم العربي في القرون الوسطى، وقرّر أن أعظم النتائج العلمية لمدة أربعة قرون إنما كانت صادرة عن العبقرية الإسلامية. كما بيّن أيضًا أن معظم الأبحاث العلمية الممتازة خلال هذه القرون إنما تمت في لغة العلم الكبرى حينذاك -وهي اللغة العربية-[1].

خلاصة الأمر إذن: المطلوب اقتفاء آثار المسلمين في عصور ازدهار نهضتهم، وما أكثر الدراسات والمؤلفات والبحوث التي أكدت **دورهم الحضاري الرائع في إسبانيا.** ومثال ذلك ما أورده ليفي بروفنسال بكتابه «تاريخ إسبانيا الإسلامية» لقول أحد الشعراء:

قد طلعت بالغرب شمس خلافة   أضاء لها في المشرقين شروق[2]

وهناك دليل آخر لا يعارضه إلا مكابر، وهو أن فرنسيس بيكون مع جون ستيورات أدخلا منهج المسلمين التجريبي إلى العالم الأوروبي... وبهذا كان المسلمون أساتذة الحضارة الأوروبية الحديثة[3].

أما حركة الإمام **محمد بن عبد الوهاب** فإن بتقويمها من منظور أعمال المجددين في تاريخنا الإسلامي يتضح بجلاء كما يقول الدكتور محمد علي أبو ريان: «... ظهرت الصحوة السلفية الثانية التي تمثلت في حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.. تلك الحركة

---

(١) نقلًا عن د/ علي سامي النشار، «مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي» (ص٣٢٨) ط. دار المعارف بمصر ١٩٦٥م.

(٢) ليفي بروفنسال «تاريخ إسبانيا الإسلامية» (ص٢٤) ط٣، المشروع القومي للترجمة ٢٠٠٠م - المجلس الأعلى للثقافة.

(٣) النشار «مناهج البحث» (ص٣٨٥) - مصدر سابق.

التي بدأت بتخليص الدين من الخرافات ومتاهات التصوف الباطني، وتوجيه الاهتمام إلى عقيدة التوحيد أولًا وإلى اتباع ما ورد في الكتاب والسنة، وبذلك أعيد بيان معاني الإسلام على ضوء العودة إلى مصدره الأساسي وينابيعه الأولى في عصر الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكرام»[1].

وقد ظهر أثر هذه الحركة المباركة في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وبرهن أصحابها وقادتها المعاصرون على أن الدين الصحيح -أي الإسلام في جوهره الحقيقي- إنما يشجع على ممارسة العلم بكل صوره التجريبية والاستدلالية وغيرها[2].

وقد أوضح الدكتور/ أبو ريان أيضًا الموقف الصائب لكل من ابن تيمية وابن رشد إذ قال: «ولعلنا ندرك موقف ابن رشد فيما نحا إليه من محاولة التوفيق بين الشريعة والفلسفة على أساس مما ادّعاه من موافقة الشريعة لمناهج الفلسفة في كتابه (فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال) فإن شيخ الإسلام ابن تيمية قد جاء بحل هذه المشكلة وبحسـمها كما يتجلى ذلك في كتاب (درء تعارض العقل والنقل)»[3]، وكان أكثر توفيقًا من ابن رشد.

أما الدكتور محمد عمارة فإنه استوفى الدراسة العلمية بمعناها الصحيح لفلسفة ابن رشد ومفندًا بالأدلة الموثقة أوهام الدكتور/ وهبة، القائل خطأ (بأن ابن رشد يُخضع الدين للعقل، وداعية لفصل الدين عن الدولة، ومؤسس للتنوير الغربي والعلمانية الغربية!)[4].

(١) ولعل الدكتور وهبة يعيد النظر في حكمه على هذا الإمام المجدد الذي تُنسب إليه اليقظة الإسلامية في العصر الحديث، كما وصفه الشاعر محمد إقبال بـ«المطهر العظيم»!

(٢) د/ محمد علي أبو ريان - أستاذ الفلسفة وتاريخها - بجامعة الإسكندرية، «أسلمة المعرفة: العلوم الإنسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية» (ص٧٤، ٧٥).

(٣) نفســه، (ص٣٦) - دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية - ١٩٩٧م.

(٤) بحث بعنوان: «ابن رشد بين الغرب والإسلام» بقلم د/ محمد عمارة - طبعة القاهرة، مجلة (المسلم المعاصر) ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

وبعد بحث عميق مستفيض خلص إلى القول بأن ابن رشد ربط بين الأفعال الإنسانية الإرادية وبين العناية الإلهية، بينما اجتمعت مذاهب التنوير الغربي على اكتفاء الطبيعة بذاتها، ثم قال في النهاية: «تأمل أن تكون هذه الصفحات قد أبرزت المكانة الفكرية البارزة والراسخة لابن رشد في النسق الفكري الإسلامي، قد نفضت عنها غبار المتغربين وشبهات أصحاب الشبهات»[1]!

كما نفى نفيًا قاطعًا بالأدلة والبراهين، نفى أية علاقة قائمة بين فكر ابن رشد وبين التيار الحضاري الغربي، المؤسس على التنوير الوضعي العلماني، مؤكدًا أن الموقع الفكري لفيلسوف قرطبة، هو كما رآه بحق الإمام محمد عبده فيلسوف إلهي، ومذهبه مذهب إلهي، قاعدته العلم[2].

ومشيرًا بسخرية لاذعة إلى مؤلف كتاب (**مدخل إلى التنوير**) الذي حاول تجديد اليوم محاولات المستشرقين (اغتيال إسلامية الفلسفة الرشيدة؛ للتسلل بهذا التنوير اللاديني إلى عقول الأمة المسلمة، تحت شعار اسم الفيلسوف المسلم والمتكلم، والفقيه، والقاضي، والطبيب أبي الوليد ابن رشد!!)[3]. أي أنه بريء تمامًا من لغط المستشرقين ومَن تَبِعَهم.

ثالثًا: الحداثة في الغرب (نشأتها وما آلت إليه): بمراجعة الفقرة التي بدأنا بها الدراسة يتضح أن صاحبها يدعو إلى تقليد الحداثة الغربية كسبيل للتقدم والنهضة، فهل هذا رأي صائب علينا الأخذ به؟ أم أنه بمناقشته تاريخيًّا وفلسفيًّا -كما سنفعل- سيؤدي بنا إلى التهلكة؟!

(١) نفسه (ص٢٥، ٤٧)، أما كتاب د/ وهبة فعنوانه: «مدخل إلى التنوير» طبعة القاهرة والكويت، ١٩٩٤م.

(٢) نفسه (ص٤٧).

(٣) نفسه (ص٤٦، ٤٧).

إن مصطلح الحداثة هو منهج فلسفي غربي نشأ في القرن الثامن عشر، ولُبّه يعتمد على العلمنة وتمجيد الآلة والتبشير بمستقبل حر بعيد عن سيطرة أوهام الأديان[١].

ويذكر الفيلسوف الفرنسي جارودي أن من معايير الحداثة اعتبار الدين كالتقاليد القديمة... **الدنيوية واحدة من معاير الحداثة.**

قادت هذه القطيعة مع التراث إلى تعظيم الفردية بالانشقاق عن الماضي، وأصبحت فكرة الانشقاق عن التراث هي المسيطرة على الحداثة[٢].

ويتضح من ذلك مدى المراوغة التي لجأ إليها قائل العبارة السالفة الذكر؛ إذ أوهم القارئ أن الحداثة هي: (إعمال العقل في النص الديني الذي لا غُبار عليه بشرط الاجتهاد وفق النصوص الشرعية والضوابط المحكمة)، وهو تعريف مضلّل يُنافي جوهر الحداثة كما رأينا!

يقول الشيخ أحمد شاكر: «وهذا الدين قد انفرد بخصائص لم تكن قط في ملة مسبقة، باشتماله على تفاصيل كل ما يحتاج إليه الجنس البشري كل عصر وزمان... وبعد ذكرها كلها يشترط الرجوع إلى نص في الكتاب والسنة، وهذي هو دليل عقلي للاستباط منها... ثم يعرض للشروط التي وضعها الإمام الشافعي بقوله: «لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله، إلا رجلًا عارفًا بكتاب الله، بناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وتأويله وتنزيله، ومكيه ومدنيه، ويكون بعد ذلك بصيرًا بحديث رسول الله ﷺ وبالناسخ والمنسوخ منه، ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن، ويكون بصيرًا

---

(١) د/ عبد الله محمد محارب «دراسة بعنوان: الحداثة وأثرها في الأدب العربي» (ص١٠٠)، مجلة: (المنار الجديد) ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(٢) جارودي، «حضارة القبور - الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها» (ص١٠٤) ط. دار الشروق، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

باللغة، بصيرًا بالشعر، وما يحتاج إليه منه للسنة والقرآن، ويستعمل هذا مع الإنصاف، ويكون بعد هذا مشرفًا (أي مطلعًا) على اختلاف أهل الأمصار، وتكون له بعد هذا قريحة، فإذا كان هكذا فله أن يتكلم ويفتي في الحلال والحرام، وإذا لم يكن هكذا فليس له أن يفتي»[1] ومع هذا البون الشاع بين التصوريْن، عمد دعاة التنوير في بلادنا -إلى استيراد الحداثة الغربية، ومحاولة زرعها غريبة في تربة لا تناسبها، فنشأت كائنًا مشوهًا، سمَّم التربة ونشر فيها الخراب، بينما كانت في الغرب نتيجة طبيعية لما مرَّت به المجتمعات هناك من صراعات وثورات وحروب وظروف صناعية واقتصادية»[2].

وهذا هو ما وضّحه الدكتور المسيري وقام بتعليله:

فقال: «إن الحضارة الغربية في الستينيات دخلت مرحلة الأزمة في تلك الآونة، وأدرك كثير من مفكريها أبعاد الأزمة والطريق المسدود الذي دخلته منظومة الحداثة الغربية، إنهم أدركوا الجوانب المظلمة للحضارة الغربية الحديثة التي أدخلت العالم في حربين عالميتين.. وتزايد إنتاج أسلحة الفتك والدمار حتى تبيّن للجميع أن هذه الحضارة قادرة على بناء قبر يكفي لدفن العالم -على حد وصف جارودي-.

ومع منتصف الستينيات تبلور الخطاب النقدي الغربي وأصبحت أعمال مدرسة فرانكفورت متداولة بين الكثيرين، فظهرت دراسات كثيرة في نقد فكر عصر التنوير في الغرب.

وقام ماركوز بحديثه عن تنميط الحضارة الغربية والإنسان ذي البعد الواحد، يبين أن ثمة خللًا بنيويًّا في صميم الحضارة الغربية، وأعاد كثير من المؤرخين المراجعين كتابة

---

(١) كتاب «جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر» (٢/ ١٠٨٤) جمعها د/ عادل سليمان جمال - مكتبة الخانجي بالقاهرة ط٢، ٢٠٠٣م

(٢) مقال: (الحداثة وأثرها في الأدب العربي) (ص١٠٠) مصدر سابق.

تاريخ الحضارة الغربية ليبين حجم جرائمها ضد شعوب آسيا وأفريقيا وحجم النهب الاستعماري»[١].

وتحت عنوان (**التحديث والحداثة وما بعد الحداثة**) عرض الدكتور عبد الوهاب المسيري تاريخيًّا أيضًا لتلك القضية في الغرب، واستخلص في النهاية نتيجة مفادها أن الحداثة هي الإدراك المأسوي لفشل المشروع التحديثي وإمكانية معرفة الإنسان قوانين الطبيعة والسيطرة عليها... وعندئذ يذعن الإنسان تمامًا لعملية إزاحته عن مركز الكون ويتقبل وضعه كيفما كان... وهذه هي مرحلة ما بعد الحداثة... فالانتقال من عالم صلب متماسك له مركزه ومعياره، إلى عالم سائل لا مركز له ولا معيارية... أي: أنه فكر تقويضي معادٍ للعقلانية وللكليات سواء أكانت دينية أم مادية[٢].

ويقول الدكتور عبد العزيز حمودة: «إن المدارس الغربية النقدية وما أفرزته من الحداثة وما بعد الحداثة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالفلسفة الغربية في محطتها الأخيرة، وأخطر ما فيها هو احتواؤها على قدر كبير من الغموض والتضليل والمراوغة وتبنيها لمبدأ الشك في الكامل والمطلق، في كل شيء، فلا ثوابت عقلية ولا ثوابت خلقية أو قيمية، واحتوت

---

(١) بحث بعنوان: (معالم الخطاب الإسلامي الجديد - ورقة أولية) (ص٥٢، ٥٣) باختصار، مجلة (المسلم المعاصر) ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(٢) د/ عبد الوهاب المسيري، «اللغة والمجاز بين التوحيد ووحدة الوجود» (ص٢٣٢-٢٣٤) ط٢ - دار الشروق ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م. وله كتاب بعنوان «دراسات معرفية في الحداثة الغربية» يقع في نحو ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير، ويغلب وصف الاستنارة الغربية بأنها استنارة مظلمة كامنة في العقلانية المادية (دون إيمان بالإله) (ص٢٨)... ويقول في إحدى فقرات الكتاب: «نحن -بروحانياتنا وإسلامنا- محصنون والحمد لله ضد هذا النموذج (ص١٢٦)» ط. مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

مقولات الحداثيين على قدر كبير من الرغبة في تفكيك تلك الثوابت وهدمها ليعلو صوت اللادينيين، وهذا ما قاله أحد أعمدة الغربية وهو رولان بارت»[١].

ويرى الدكتور حمودة أنها رافد من روافد المؤامرة الغربية المتمثلة في الحرب المعلنة على الثقافة العربية والإسلامية مستندًا في ذلك إلى مقولة الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون في كتابه «الفرصة السانحة» عن أن الإسلام هو العدو الجديد للغرب بعد زوال خطر الشيوعية[٢].

كما استند أيضًا إلى كتاب لباحثة إنجليزية تخرجت من جامعة أكسفورد وهي (فرانسيس سوندرز) وعنوانه: من دفع أجرة العازف؟ المتحدث فيها على وثائق أفرجت عنها الإدارة الأمريكية... إلى جانب لقاءات عقدتها مع الأطراف التي كانت تعرف بدور المخابرات الأمريكية والبريطانية في تمويل الأنشطة الثقافية في شتى أنحاء العالم... وأشارت المؤلفة إلى أن المخابرات الغربية منذ نهاية ١٩٤٨م حتى الآن هي التي تقوم بدفع أجر العازف بسخاء من خلال واجهة أطلقوا عليها رابطة حرية الثقافة، ومن خلال تلك الرابطة تم تمويل عشرات المؤتمرات وطبع المجلات والكتب التي تنشر الثقافة الغربية ومن بينها (التيار الحداثي) في شتى ربوع الوطن العربي، مما يؤكد صلة المخابرات الأمريكية بالاتجاهات الحداثية ومحاولة ترويجها، مما يسهل عمليات الاختراق للثقافات القومية للبلاد المستهدفة... ويستطرد قائلًا: «لم تخطط أجهزة المخابرات الغربية لمخاطبة الجماهير، إنما ركزت خطابها على الصفوة المثقفة القادرة على التأثير من خلال الضغط على متخذي القرار السياسي لصالح الغرب وسياساته... وقدم مثالًا بسيطًا

---

(١) الحداثة الأدبية في قفص الاتهام، (ص١٣٨) مجلة المنار الإسلامي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م

(٢) نفسه (ص١٣٧) (في ندوة رابطة الأدب الإسلامي العالمي بالقاهرة) عرض الأستاذ علي عليوة.

لمجلتيّ: «حوار» و«شعر» في كل من القاهرة وبيروت، وهو مجرد مثال بسيط على ذلك التغلغل، وليس غريبًا أن تلك المجلّتيْن كانتا تطالب بإلحاح بالقطيعة مع التراث الموروث والترويج الكامل للثقافة والنموذج الغربي البديل»[1].

ويقرر الدكتور عبد العزيز: «إن الحداثيين فشلوا في إخراج العقل العربي من ورطته بعد هزيمة ٦٧ كما فشلوا في إغراء الجماهير العربية بالسير وراءهم، وأصبحوا في نهاية الأمر مجموعة منعزلة يكتبون لأنفسهم فقط»[2].

إذن ليس أمامنا إلا الثبات على أصولنا حتى الممات، والعض عليها بالنواجذ، كما أوصانا نبيّنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله المستعان.

---

(١) الحداثة الأدبية... في قفص الاتهام، (ص١٣٩) في ندوة رابطة الأدب الإسلامي العالمي بالقاهرة - مجلة المنار الإسلامي / ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، عرض: علي عليوة.

(٢) د/ عبد العزيز حمودة «المرايا المقعرة» (ص٤٨٩) كتاب (عالم المعرفة) - الكويت - جمادى الأولى ١٤٢٢هـ - أغسطس ٢٠٠١م.

الباب الثاني

الإمام محمد بن عبد الوهاب

سيرته ودعوته

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

أما بعد: فإن المتابع لكتابات المستغربين وأحاديثهم في وسائل الإعلام يلاحظ أن بعضهم يتخذ موقفًا عدائيًا من الإمام محمد بن عبد الوهاب، وهذا ما يفعله أيضًا الشيعة ويتجهون بالسبِّ والذم إلى ابن عبد الوهاب **(والوهابية)** أيضًا، ومن الأسف أن بعض الصوفية ينزلق إلى نفس الموقف بلا دليل أو برهان، لذلك رأيت إصدار هذه الطبعة لتبرئة ساحة الإمام وتقديره حق قدره، مكتفيًا بشهادة أستاذنا د/ محمد علي أبو ريان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ؛ لأنه يعبّر باختصارٍ عما أفصح عنه الكثير من علماء العصر ومفكريه وكُتابه وأدبائه، وكلهم عُدول.

أولًا: يذكر أن الإمام محمد بن عبد الوهاب **هو حامل لواء الصحوة السلفية في العصر الحديث**، ويصف حركته بأنها قامت بتخليص الدين من الخرافات ومتاهات التصوف الباطني، وتوجيه الاهتمام إلى عقيدة التوحيد أولًا وإلى ما ورد في الكتاب والسنة، وبذلك أعيد بيان معاني الإسلام على صورة العودة إلى مصدره الأساسي وينابيعه الأولى في عصر الرسول الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

وقد ظهر أثر هذه الحركة المباركة في جميع أنحاء العالم الإسلامي، ويرهن أصحابها وقادتها المعاصرون على أن الدين الصحيح -أي الإسلام في جوهره الحقيقي- إنما يشجع على ممارسة العلم بكل صوره التجريبية والاستدلالية وغيرها... وأنه لا حدود أمام العلم سوى ما ألزمنا به الشارع من أسس عقدية وضوابط شرعية وأخلاقية لا يتصور أن تكون حجر عثرة في وجه أي باحث يريد أن يخدم الحقيقة دون تعصب أو عناد يسير منافذ العقل والدين[1].

---

(١) د/ محمد علي أبو ريان - أستاذ الفلسفة وتاريخها بجامعة الإسكندرية (أسلمة المعرفة - العلوم الإنسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية) (ص٧٤، ٧٥) دار المعرفة الجامعية - الشاطبي - إسكندرية - ١٩٩٧م.

ويقصد بذلك أن تاريخ العلم في الإسلام لم يمر بمرحلة اضطهاد العلماء كما حدث في تاريخ الغرب، حيث كانت تُحرق كتبهم على يد محاكم التفتيش، ويُرصد بسجل فهرست الكنيسة أسماء العلماء المطرودين منها (وهكذا نجد أن رجال الدين كانوا هم السبب في الانفصال التام الذي حدث بين العلم والدين في مطالع عصر النهضة الأوروبية الجديدة)[1].

هذا، ورُب ضارة نافعة... إذ قامت حرب الدعاية ضد الحركة على تأليف الكتب والرسائل في تشويه صورة الإصلاح الديني الذي تبنَّاه... ولكنها أسهمت -من ناحية أخرى- بإثارة انتباه الكثير من العلماء المعاصرين لها، ومن ثمَّ قوبلت هذه الكتب والرسائل بردود كثيرة من علماء نجد والعراق والشام ومصر والهند، وأوحت إليهم بهذه الدراسات العلمية الحرة، فكانت هذه الحركة وما نتج عنها من آثار قيمة من أكبر المظاهر العقلية التي ظهرت في عصر النهضة، زعزعت الناس عن المألوف من الخرافات والبدع، ووجّهت العقول إلى منابع الإسلام الصحيح: كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهدي السلف الصالح، ولذلك نُعِتَتْ بـ«السلفية» وفاقًا لطبيعتها، وبـ«الوهابية» على سبيل التنفير»[2]!

---

(١) نفسه (ص٧٤).

(٢) محمد بهجة الأثري (محمود شكري الألوسي - سيرته ودراساته اللغوية) (ص٢٠، ٢١) - منشورات مركز المخطوطات والتراث بالكويت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

التعريف بالإمام محمد بن عبد الوهاب ودعوته

سيرته وعلمه وجهاده:

وُلد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١١١٥هـ - ١٧٠٣م في بلدة العيينة الواقعة شمال الرياض، ونشأ على حب العلم، فطلبه منذ صغره وأظهر نبوغًا وتميزًا، فحفظ القرآن الكريم ودرس الفقه الحنبلي والتفسير والحديث، وتتلمذ على كتب ابن تيمية في الفقه والعقائد والرأي وأعجب بها أيما إعجاب، وتأثر بكتب ابن القيم وابن عروة الحنبلي وغيرهم من فحول هذا المنهل السلفي...

ورحل في طلب العلم إلى مكة، والمدينة، والبصرة، والأحساء، وتعرض لفتن عديدة عندما جاهر بآرائه في العراق ثم رجع نجد وبدأ دعوته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاشتغال بالعلم والتعليم، والدعوة إلى عقيدة التوحيد الصافية، وحذَّر من الشرك، وتعرض لمحاولة اغتيال فانتقل إلى الدرعية واستطاع التحالف مع الأمير محمد بن سعود الذي قام بماله ورجاله من أجل الدعوة التي كانت في بدايتها مسالمة وتدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، لكنه رأى أن اللين يقابل بالشدة، والموعظة الحسنة يرد عليها بالمؤامرات، ومن ثم لم يكن هناك من بُد دخول مرحلة الجهاد؛ حيث عاونه الأمير محمد بن سعود بإعداد العدة من الرجال والسلاح... واستمرت الحروب بين أنصار الدعوة وأعدائها سنين عديدة، وكان النصر حليفها في أغلب المواقف إلى أن فتحت الرياض بقيادة الأمير عبد العزيز محمد بن سعود، فاتسعت رقعة الأرض التي تخضع للدعوة، ودخل كثير من الناس في الدعوة مختارين، وبعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب واصلت الدعوة مسيرتها وساندها آل سعود بقوة السلطان، وتحولوا إلى الحجاز؛ حيث انتصروا

على الشريف غالب بن مساعد عام ١٨٠٣م حين دخل السعوديون مكة دون مقاومة من الشريف الذي هرب إلى جدة، وبعد عامين ضم السعوديون المدينة المنورة[١].

وقد كشف الدكتور الصلابي بكتابه: (الدولة العثمانية: عوامل النهوض والسقوط) عن حقيقة الصراع بين الحركة الوهابية والدولة العثمانية، وعن الدور المشبوه الذي قام به محمد علي لصالح بريطانيا وفرنسا في ضربه للتيار الإسلامي في مصر، والحجاز، والشام، وعن حركته التغريبية التي كانت خطوة نحو الانسلاخ من المبادئ الإسلامية الأصلية وفق مخططاتهم؛ ولذلك وقفوا معه في نهضته العلمية والاقتصادية والعسكرية بعد أن أيقنوا بضعف الجانب العقدي والإسلامي لديه ولدى أعوانه وجنوده[٢].

ونقلًا عن الألوسي أن الإمام محمد بن عبد الوهاب له من التصانيف كتب كثيرة، منها: كتاب التوحيد وتفسير القرآن، وكتاب كشف الشبهات، وغير ذلك من الرسائل والفتاوى الفقهية والأصولية... وأعقب أربعة أولاد كلهم من أجلة العلماء؛ وهم: الشيخ حسين، والشيخ عبد الله، والشيخ علي، والشيخ إبراهيم -تغمدهم الله برحمته أجمعين-[٣].

أما الشيخ محمود شاكر فقد أورد سيرته ضمن خمسة علماء ويصفهم بأنهم روّاد **(اليقظة الإسلامية)**:

---

(١) د/ علي محمد الصلابي «الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط» (ص٣٨٢، ٣٨٤) باختصار - دار المعرفة - بيروت، ط٥ ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(٢) نفسه (ص٨)، ويُنظر: بالتفصيل من (ص٣٨٦) إلى (ص٣٩٣).

(٣) عباس محمود العقاد، «الإسلام في القرن العشرين: حاضره ومستقبله» (ص١٢٥) - دار الكتاب العربي - بيروت - ط٢، فبراير ١٩٦٩م، وذكر أن محمود الألوسي صاحب تفسير روح المعاني قد ترجم له وهو من مريديه (ص١١٩).

مختصر سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب، بقلم الشيخ محمود شاكر:

مهّد الشيخ شاكر أولًا للحديث عنه ضمن خمسة علماء فقال: رأيت أن أختار خمسة رجال عظام لا أكثر، أحسوا بذبذبة النكبة (يقصد الاستعمار) فانتفضوا لها وكان لهم في بقعة من قلب العالم العربي الإسلامي طريق واضح في البعث والإحياء، دلّت عليه كتبهم وأعمالهم دلالة واضحة..

ثم ذكر سيرة الإمام بأنه وُلد ببلدة العيينة بنجد (١١١٥ - ١٢٠٦هـ - ١٧٠٣ -١٧٩٢م) ورحل إلى الحجاز والشام والبصرة، وفتح عينيه على ما في نجد والبلاد التي زارها من البدع التي حدثت، وما غمر العامة والخاصة من الأعمال والعقائد الحادثة والتي تخالف ما كان عليه سلف الأمة من صفاء عقيدة التوحيد، وهي ركن الإسلام الأكبر، فلما عاد إلى نجد لم يقنع بتأليف الكتب، ورأى أن خير الطرق هو أن يتجه إلى عامة الناس في نجد، ليردهم عن البدع المحدثة ويسلك بهم طريق السلف في العمل والعقيدة، ولم يزل دائبًا في دعوته، يدعو ويعلم ويكتب.. وعندما أيّده الأمير محمد ابن سعود (١١٧٥) صارت دعوته قوة متحركة ناجحة في قلب جزيرة العرب، وأحدث ظهور هذه القوة رجة شديدة الدوي في جنبات العالم العربي والإسلامي، وتلفت الناس يمينًا وشمالًا في الهند ومصر والعراق والشام وتركيا والمغرب والسودان... وهو يصفها بأنها حركة (**اليقظة الإسلامية**)[1].

---

(١) والخمسة هم البغدادي، والمرتضى الزبيدي، وابن عبد الوهاب، والشوكاني، والجبرتي الكبير. «جمهرة مقالات الأستاذ/ محمود محمد شاكر: جمعها: د/ عادل سليمان جمال (ج٢) (ص١٢٠٢، ١٢٠٣)» مكتبة الخانجي بالقاهرة. ط٢ / ٢٠٠٣م.

أحوال العالم الإسلامي في عصر محمد بن عبد الوهاب:

صوَّر لنا الكاتب الأمريكي لوثروب ستودارد أحوال العالم الإسلامي في عصر الإمام محمد بن عبد الوهاب أوضح تصوير، إذ انتشر فيه فساد الأخلاق والآداب، واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع الشهوات. وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء، فألبست الوحدانية التي علّمها صاحب الرسالة ﷺ الناس سخفًا من الخرافات وقشور الصوفية، وكثر عدد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من كل مكان إلى مكان، يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور... ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر مدن الإسلام... وعلى الجملة فقد هبط المسلمون مهبطًا بعيد القرار، فلو عاد صاحب الرسالة ﷺ إلى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان يدهي الإسلام، لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يُلعن المرتدون وعبدة الأوثان[1].

ثم قال: «وفيما العالم الإسلامي مستغرق في هجعته ومدلج في ظلمته، إذ بصوت بدوي من قلب صحراء شبه الجزيرة مهد الإسلام، يوقظ المؤمنين ويدعوهم إلى الإصلاح والرجوع إلى سواء السبيل والصراط المستقيم، فكان الصارخ هذا الصوت إنما هو المصلح المشهور محمد بن عبد الوهاب الذي أشعل نار الوهابية فاشتعلت واتقدت، واندلعت

---

(١) لوثروب ستودارد الأمريكي (حاضر العالم الإسلامي) (١/ ٢٥٩، ٢٦٠) باختصار، ترجمة: عجاج نويهض، وفيه فصول وتعليقات لعلم الأمير شكيب أرسلان - ط. دار الفكر - بيروت - ط٣، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

وقد علق شكيب أرسلان على هذا الوصف بقوله: «لو أن فيلسوفًا من فلاسفة الإسلام، أو مؤرخًا عبقريًا بصيرًا بجميع أمراضه الاجتماعية أراد تشخيص حالته في هذه القرون الأخيرة، ما أمكنه أن يصيب مثل ما فعل الكاتب الأمريكي ستودارد» (هامش ص٢٦).

ألسنتها إلى كل زاوية من زوايا العالم الإسلامي، ثم أخذ الداعي يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المجد الإسلامي القديم والعزّ التليد، فتبدّت تباشير صبح الإصلاح ثم بدأت اليقظة الكبرى في عالم الإسلام»[١].

وفي الفصل الثاني من الكتاب وعنوانه (**في الجامعة الإسلامية**) عاد فأكّد فكرة أن اليقظة الإسلامية بدأت بالدعوة الوهابية الدينية الإصلاحية.. ثم عرّف (الجامعة الإسلامية) بمعناها الشامل ومفهومها العام بأنها هي الشعور بالوحدة العامة والعروة الوثقى لا انفصام لها بين جميع المؤمنين في المعمور الإسلامي، وهي قديمة بأصلها ومنشئها منذ عهد صاحب الرسالة ﷺ. كذلك وصف الجامعة الإسلامية من حيث دورها ووظيفتها فقال: «وفي الواقع ليس من دين في الدنيا جامع لأبنائه بعضهم مع بعض، موحِّد لشعورهم دافع بهم نحو الجامعة العامة والاستمساك بعروتها كدين الإسلام»[٢].

كذلك يذكر المؤرّخ الأمريكي أن (الجامعة الإسلامية) اجتازت أدوارًا مختلفة، وأن الدور الأول كان من مهمة الدعوة الوهابية، إذ أنشأ عبد الوهاب حكومته على أساس الشورى كتلك الشورى التي اشتهرت في عهد الخلفاء الراشدين.. ولما تم لسعود خليفة عبد الوهاب الاستيلاء على الأماكن المقدسة في الحجاز، كان استيلاؤه هذا الخطوة الأولى في سبيل فتح العالم الإسلامي قاطبة فتحًا إصلاحيًّا دينيًّا تتلوه الوحدة السياسية بين جميع الممالك الإسلامية، لكن لما سقطت الوهابية دون مبتغاها العظيم، أخذ الاضطراب السياسي على أثر ذلك يشتد في العالم الإسلامي اشتدادًا واسع المضطرب[٣].

---

(١) نفسه (ص٢٦٠)، وقد اختار المؤلف للفصل الأول من الكتاب عنوان «في اليقظة الإسلامية» (ص٢٥٩).
(٢) نفسه (ص٢٨٩).
(٣) نفسه (ص٢٩١).

الحالة الدينية في مصر

ولتدرك صحة ما دعا إليه الإمام محمد بن عبد الوهاب والمهمة الكبرى التي قام بها فرفعته إلى مكانة العلماء المجدّدين[1]، ننقل كنموذج عن الأستاذ المنفلوطي الأديب الكبير ما أزعجه من سلوك المتصوفة الشائن في مصر لمكانتها بين دول العالم الإسلامي، إذ شنّ حملة شعواء على طريقتهم في العبادة، وحاول أن يعيد للإسلام بهاءه، وللعقيدة صحتها، وأخذ يصف حركاتهم الجسدية وأصواتهم المنكرة بالمقارنة بما كان عليه السلف الصالح حتى يتبيّن لنا الحق، وجأر المنفلوطي بالشكوى متسائلًا منكرًا عليهم ما يفعلون (هل تعلمون أن السلف الصالح كانوا يجصصون قبرًا، أو يتوسلون بضريح).. وهل تعلمون أن واحدًا منهم وقف عند قبر أحد الصحابة وأهل بيته يسأله قضاء حاجة أو تفريج هَم؟ وهل تعلمون أن الرفاعي والدسوقي والجيلاني والبدوي أكرم عند الله وسيلة إليه من الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين[2]؟!

كذلك انتقد بشدة تهاون العلماء الذين يجمعون بين اعتقاد التوحيد وبين التردد على أبواب الأحياء والأموات عند مزاراتهم وفي مقابرهم، بينما يحفظون قول الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف:١٨٨]، وأصبح العلماء يحرفون الكلم عن مواضعه جهلًا أو عمدًا.. ثم أعلن المنفلوطي بحسم وقطع (**والله لن يسترجع المسلمون سالف مجدهم، ولن يبلغوا ما يريدون لأنفسهم من سعادة الحياة إلا إذا استعادوا قبل ذلك ما أضاعوه من عقيدة التوحيد**)[3]، كذلك اختصر وصف انحرافات بعض العلماء

---

(١) وكان الشيخ حامد الفقي موفقًا في وصفه بقوله: «الإمام العلامة صاحب النهضة الدينية المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب».

(٢) عباس بيومي عجلان، «المنفلوطي وأثره في الأدب الحديث» (ص٨٣) دار لوران بالإسكندرية ١٩٧٧م.

(٣) نفسه (ص٨٤، ٨٥).

والصوفية في جملة واحدة وهي: (لقد اختفت السنة وراجت البدعة)[١]، معللًا انحراف المسلمين في عصره من الخلط بين عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، وعقيدة التوكل، وتشييد الأضرحة، وتجصيص القبور وتزيينها، والترامي على أعتابها، وإسناد النفع والضر إلى رؤساء الدين وأمثال ذلك (فإنه من آثار النصرانية وليس من الإسلام في شيء)[٢].

كما ضاق المنفلوطي ذرعًا بثلة من العلماء، وأبدى سخطه عليهم حيث عذر العامة في إشراكها وفساد عقائدها فأخذ يخاطبهم بقوله: «فما عذركم؟ وأنتم تتلون كتاب الله تعالى وتقرؤون صفاته عَزَّوَجَلَّ؟ وحريّ بكم أن تعرفوا سنن من سبقكم من السلف الصالح والتابعين بإحسان، ولو اطلعتم على تاريخهم لأدركتم أن دينكم غير الدين، وعقيدتكم تُباين العقيدة، ونِحلكم تتنافى مع نِحَل السلف وطريقة التابعين»[٣].

ويحمّل العلماء المسئولية بتقصيرهم في بيان عقائد الإسلام الصحيحة، ومن ثَمّ تفشي الجهل بين المسلمين عامتهم وخاصتهم، بل يذهب إلى القول (**بأننا نعيش في جاهلية أطم فأفسد من الجاهلية الأولى**)[٤]، والحق أنه ما قام محمد بن عبد الوهاب بدعوته إلا للقضاء على تلك الجاهلية الثانية.

---

(١) نفسه (ص١٣٥).
(٢) نفسه (ص٧٩).
(٣) نفسه (ص٨٦).
(٤) نفسه (ص٧٥).

من منظور فقه التاريخ

لا يصلح آخر الأمة إلا بما صلح بها أولها

يرى الأستاذ أحمد أمين أن الإمام محمد بن عبد الوهاب سار على درب ابن تيمية الذي انتقد حال المسلمين في عصره في استغاثتهم بالقبور ورحيلهم إليها، وطوافهم بالصخرة في بيت المقدس، ورحيلهم إلى شاهد الخليل وشاهد عسقلان، وتعظيمهم حتى بعض آثار النصرانية[١].

ولعل بسبب هذه الأسباب الشركية انتصر الصليبيون في بعض المعارك على المسلمين واستولوا على القدس، فقد جاء محمد بن عبد الوهاب ورأى أن ضعف المسلمين اليوم وسقوط نفسيتهم ليس له من سبب إلا العقيدة، فقد كانت العقيدة الإسلامية في أول عهدها صافية نقية من أي شرك، وكانت (لا إله إلا الله) معناها السمو بالنفس عن الأحجار والأوثان وعبادة العظماء، وعدم الخوف من الموت في سبيل الحق، وعدم الخوف من استنكار المنكر والأمر بالمعروف مهما تبع ذلك من عذاب... وهذا هو الفرق الوحيد بين العرب في الجاهلية والعرب في الإسلام، وبهذه العقيدة وحدها غزوا وفتحوا وحكموا... ولما تدنّى المسلمون من سمو التوحيد إلى حضيض الشرك ذلت النفوس حتى وصلت الحال بالأمة الإسلامية إلى فقد سيادتها وانهيار عزتها، **ولا يصلح آخر الأمة إلا بما صلح بها أولها**، فلابد من العودة إلى الحياة الإسلامية الأولى، حيث التوحيد الصحيح والعزة الحقة؛ لذلك لم ينبهر محمد بن عبد الوهاب بالمدنية الحديثة، ولم يتجه في إصلاحه إلى الحياة المادية، وإنما اتجه إلى العقيدة والروح، إن صلحا صلح كل شيء، وإن فسدا فسد كل شيء[٢].

---

(١) أحمد أمين، «زعماء الإصلاح في العصر الحديث» (ص١٧).

(٢) نفسه (ص١٧)، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨م.

العقبات التي صاحبت دعوة الإمام عبد الوهاب:

وهذه العقبات تتمثل في عاملين:

الأول: الجهل بحقيقة التوحيد، **والثاني:** العامل السياسي.

أولًا: بالرغم من الصعوبات التي كانت تحيط به من كل جانب، فإن محمد بن عبد الوهاب نجح في توجيه الأنظار إلى زيف الخرافات والأوهام التي يعتنقها المسلمون بتأثير سلطان التصوف في عصره، ولهذا أصبحت دعوته في جوهرها قائمة على نبذ كافة هذه المظاهر التي فتح عينيه فرآها متفشية في العالم الإسلامي بأسره. وقابل المسلمون دعوته بانزعاج شديد لأنهم -بسبب جهلهم بحقيقة التوحيد- كانوا غارقين في خرافات البدع وقشور الصوفية[1]، وظنوا أنها هي المعبرة عن الإسلام، فلما قام مع أتباعه بهدم القباب وإزالة ما كان على قبر الرسول ﷺ من الحلي والزينة اتهموه وأصحابه بالزندقة والكفر[2].

والحق أن أساس هذه الأعمال يتصل اتصالًا وثيقًا بالسُّنة نفسها؛ لأنها كانت من وصايا الرسول صلوات الله عليه، قال أبو الهياج: «قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ **أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سوّيته**»[3].

ثانيًا: لعبت السياسة دورها في تشويه الدعوة الوهابية؛ إذ أن سبب اشتداد مقاومة الحركة الوهابية ترجع -في رأي الدكتور بديع الشريف- إلى خوف الخلافة في الأستانة

(١) الأمير شكيب أرسلان، تعليقه رقم (١) من كتاب «حاضر العالم الإسلامي» (ص٣٤).
(٢) د. محمد بديع شريف، «الصراع بين الموالي والعرب» (ص١٤٣).
(٣) محمد بن عبد الوهاب، «كتاب التوحيد» (ص١٨٤).

من مناوأتها؛ لأنها تؤذن بقيام دولة عربية، إلا أن العامل الأساسي في استنكارها والوقوف في وجهها يرجع إلى ما غرق فيه المسلمون من تأثيرات المذاهب والفرق الصوفية، فقد تغلغلت في عقول المسلمين وقلوبهم، فظنوا أنها تعبر عن الصحيح المتوارث، وقابلوا دعوة ابن عبد الوهاب بعنف وشدة ظنًّا منهم أنها انحراف عن معتقداتهم، بينما كان العكس هو الصحيح.

وإذا سلمنا بعنف طابع الحركة الوهابية، فإنها ربما ترجع إلى عامل رد الفعل: فقد دار النقاش بينه وبين رجل اسمه علي بن ربيعة وهو من كبار بني تميم، وطلب منه محمد ابن عبد الوهاب قول الحق لأنه شريف في قومه، مسموع الكلمة عندهم، حتى لا تقع الفتنة.. ثم قرأ الكتاب، والراجح أنه كتاب (التوحيد)، فأقرّ أن ما تضمّنه هو الحق، واستفسر عن منهج تنفيذه، فأجاب محمد بن عبد الوهاب، بأنه النصيحة وبذل المعروف أول الأمر، فإذا لم يتحقق فبالسيف؛ لأنها حوربت حربًا ظالمة بواسطة محمد علي وتركت آثارًا يندى لها الجبين[1].

وقد أثار غضب كثير من الناس -كما أسلفنا- قيام أتباع الحركة بهدم كثير من القباب الأثرية ورفع بعض الحلي والزينة من قبر الرسول ﷺ[2]، وتدميرهم

(١) د. محمد بديع الشريف، «الصراع بين الموالي والعرب» (ص١٤٣).

(٢) جمال بن أحمد الريكي، «لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب» (ص٢٨).

ولم تكن القوة الغازية مصرية بأي صورة من الصور، فأغلبها من الأرناؤوط وبعض الأتراك والنصارى وبعض الضباط الفرنسيين، ولا يحمل أغلب قادتها من الإسلام سوى الاسم... ومن جرائمهم أنهم نهبوا بيوت صلحاء الناس وأخذوا نساءهم وبناتهم وأولادهم وكتبهم، وكان محمد علي مخالفًا للشرع متعديًا على حدود الله تعالى، فهذا جيشه يقبل ويدبر ويأخذ الأموال ويهتك الأعراض من المسلمين الموحّدين. (د. علي الصلابي «الدولة العثمانية») (ص٣٨٨) مصدر سابق.

لكافة المشاهد الشيعية في كربلاء[١]، إلا أن الوهابيين (لم يعبأوا إلا بإزالة البدع والرجوع بالدين إلى أصله)[٢].

حملات التشنيع على الحركة وتفنيدها،

ذكر الأستاذ/ أحمد أمين أن سبب إحاطة الدعوة الوهابية بظروف لم تتهيأ لغيرها يرجع إلى أنها قوبلت بحرب بالسيف -بواسطة الدولة العثمانية لخشيتها من خروج الحجاز من يدها، وهي مركز إسلامي كبير، كما أنه ألفت الكتب الكثيرة للتشنيع على الحركة والتخويف منها (كل هذا خدم الدعوة الوهابية بلفت الأنظار إليها، ودورانها على كل لسان)[٣].

وإننا لنعثر على صدى هذه الحملات على التابعين للحركة، وظهر الدفاع عنها لتفنيد آراء الخصوم وما أشيع عنها.

ففي أصول الدين: أعلنوا أنهم يسلكون منهج ابن تيمية وابن القيم والحافظ الذهبي وابن كثير والطبري وابن رجب الذين سار على أثرهم محمد بن عبد الوهاب)[٤].

وفي رسالة للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، يذكر فيها أن كل ما أشيع حول الحركة هو محض افتراء، كالقول بتفسير القرآن برأيهم، وعدم الأخذ بالحديث إلا ما يوافق أفهامهم، وعدم وضع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكانته اللائقة، واستبعادهم لآراء علماء المسلمين، وإتلافهم لمؤلفات أهل المذاهب، وميلهم إلى التجسيم في العقيدة... إلخ[٥].

---

(١) أحمد أمين، «زعماء الإصلاح» (ص٢٠).
(٢) نفسه (ص٢٠).
(٣) نفسه (ص١٩).
(٤) سليمان بن سحمان النجدي، كتاب «الهدية السنية» (ص٧، ٨).
(٥) عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ن.م (ص٤٠).

ويعلق ابن محمد بن عبد الوهاب على ذلك بقوله: إن كل ما رُميت به الحركة ليس صحيحًا[1]، لأن أتباعهم يعتقدون أن رتبة النبي ﷺ هي أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق، والدليل على ذلك ما قاله الإمام بكتابه: «مختصر زاد المعاد» لابن القيم.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب في بداية المختصر:

(فصل في وجوب معرفة هدي الرسول ﷺ)

ومن هنا يُعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول ﷺ وما جاء به؛ فإنه لا سبيل إلى الفلاح إلا على يديه، ولا إلى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل إلا من جهته، فأي حاجة فرضت وضرورة عرضت، فضرورة العبد إلى الرسول ﷺ فوقها بكثير.. ثم يضيف: «وإذا كانت السعادة معلقة بهديه ﷺ فيجب على كل من أحب نجاة نفسه أن يعرف هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به من خطة الجاهلين»[2].

كذلك قال أصحابه: إنهم لا ينكرون كرامات الأولياء بشرط السير على الطريقة الشرعية، وأن هدم بعض القبور، ومنها بيت السيدة خديجة وبعض الزوايا بقصد التغيير عن الإشراك بالله[3]، ثم يتطرق إلى التصوف وموقفهم منه، فيقول: «ولا ننكر الطريقة

---

(١) ويرى الأستاذ أحمد أمين أن الدعاية أحكمت ضدها، ويذكر أن كثيرًا من الكتب ألفت ضدها للتخويف منها والتشنيع عليها. «زعماء الإصلاح» (ص١٩).

وليس أدلّ على الافتراء من موقف الحركة من الرسول ﷺ، إن منهج محمد بن عبد الوهاب قائم على أدلة من الكتاب والسنة معًا، ومن مؤلفاته: «مختصر زاد المعاد» لابن القيم، ويتضمن سيرة الرسول ﷺ. ط المكتب الإسلامي - بيروت / دمشق بدون تاريخ.

(٢) محمد بن عبد الوهاب، «مختصر زاد المعاد» (ص٨) ط. المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق بدون تاريخ.

(٣) المرجع السابق.

الصوفية وتنزيه الباطن من رذائل المعاصي المتعلقة بالقلب والجوارح، مهما استقام صاحبها على القانون الشرعي، والمنهج القويم المرعي، إلا أننا لا نتكلف له تأويلًا في كلامه ولا في أفعاله، ولا نعول ولا نستعين ونتوكل في جميع أمورنا إلا على الله تعالى»[1] أي: أنهم يعارضون التصوف الإشراقي وتصوف وحدة الوجود.

هذه هي خلاصة آراء أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهم في الواقع يقتفون أثره فيما دوّنه من كتب، وجاهر به أثناء حياته من آراء.

لقد كان صاحب الدعوة مخلصًا للمنهج السلفي الذي تمسّك به، وأن دراسة كتبه تؤيد ما نذهب إليه، ودليلنا التزامه بنفس المنهج عند عرض القضايا العقدية.

ففي كتابه «التوحيد»، يقع اختياره على الآيات والأحاديث التي تحض على التوحيد الخالص والدعوة إلى تأكيد فكرة الألوهية وضرورة هيمنتها على كل ما عداها، لا سيما في الأبواب التي قسّم إليها كتابه. ففي باب: «ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك»[2] يأتي بكافة النصوص المؤيدة لهذا المعنى.

ويمضي ناهيًا عن الغلو في قبور الصالحين حتى لا تصبح أوثانًا تعبد من دون الله، مؤيدًا ذلك بالأسانيد من الكتاب والسنة[3].

وسنعرض باختصار لكتابيه (التوحيد) و(كشف الشبهات)، بالصفحات التالية:

---

(١) عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، (ص٤١).
(٢) نفس المصدر (ص٤٠).
(٣) محمد بن عبد الوهاب، كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (ص٦١).

دراسة مختصرة لكتابيه:

١- التوحيد، ٢- كشف الشبهات في التوحيد

أولاً: تحت باب بعنوان (كتاب التوحيد)[١] يسرد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، وقوله: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء:٢٣]، وقوله: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء:٣٦]، وقوله: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا... ﴾ الآيات [الأنعام:١٥١-١٥٣].

قال ابن مسعود: «من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا... ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ الآيات».

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: (كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: **«يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟»**، قلت: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: **«حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذّب من لا يشرك به شيئًا»**، قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال ﷺ: **«لا تبشرهم فيتكلوا»**) [أخرجاه في الصحيحين][٢].

---

(١) محمد بن عبد الوهاب: «كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» (ص٣)، بتحقيق: محمد حامد الفقي، ط٣، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م، مطبعة السنة المحمدية.

(٢) نفسه (ص٤).

ثانيًا: وتحت عنوان: (باب الخوف من الشرك)[١].

وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].

وقال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم:٣٥]، وفي الحديث: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» فسُئل عنه، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الرياء**». وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النار**» [رواه البخاري]، ولمسلم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به دخل النار**».

وفي الشرح قال: «فيه مسائل: **الأولى**: الخوف من الشرك، **الثانية**: أن الرياء من الشرك، **الثالثة**: أنه من الشرك الأصغر، **الرابعة**: أنه أخوف ما يخاف منه الصالحين، **الخامسة**: قرب الجنة والنار، **السادسة**: الجمع بين قربهما في حديث واحد، **السابعة**: أنه من لقيه لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار، ولو كان من أعبد الناس، **الثامنة**: المسألة العظيمة سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام، **التاسعة**: اعتباره بحال الأكثر؛ لقوله: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾، **العاشرة**: فيه تفسير (لا إله إلا الله) كما ذكره البخاري، **الحادية عشرة**: من سلم من الشرك»[٢].

وتحت عنوان: باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله:

وقول الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ[٣] أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ [الإسراء:٥٧] الآية، وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا

---

(١) نفسه (ص١١).

(٢) نفسه (ص١١، ١٢).

(٣) قال الشيخ حامد الفقي: «وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى، مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة، وهي كالقربة، والواسل: الراغب إلى الله تعالى».

تَعۡبُدُونَ ﴾ [الزخرف:٢٦]، وقوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية [التوبة:٣١]، وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ الآية [البقرة:١٦٥].

وفي «صحيح مسلم» عن النبي ﷺ أنه قال: **«من قال: (لا إله إلا الله) وكفر بما يعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عَزَّوَجَلَّ»**[1].

ومما جاء بكتابه التحذير من عبادة الأوثان وغيرها من دون الله عَزَّوَجَلَّ، ونراه يختار الآيات القرآنية وأحاديث الرسول ﷺ ما يدعم هذا الغرض: ففي باب (ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان):

قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ[2] ﴾ [النساء:٥١]، وقوله تعالى: ﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [المائدة:٦٠]، وقوله: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴾ [الكهف:٢١][3].

---

(١) نفسه (ص١٥، ١٦).

(٢) وفي شرح الشيخ حامد الفقي قال: «أما الجبت فيطلق على الصنم والكاهن ونحو ذلك»، قال الجوهري في «الصحاح»: «الطاغوت الشيطان في صورة إنسان يتحاكمون إليه، وهو صاحب أمرهم، وقال الإمام مالك: هو كل ما يعبد من دون الله عَزَّوَجَلَّ» (ص٦٥).

(٣) في شرح الشيخ حامد الفقي قال: «قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ ﴾ الذي قال ذلك أصحاب الكلمة والنفوذ زمن أصحاب الكهف، أي قالوا: نتخذ على أصحاب الكهف مسجدًا ليعرفوا فيقصدهم الناس ويتبركون بهم، كما يفعله غالب جهال المسلمين الآن وبعض المنتسبين إلى العلم، وهذا على جهة الذم لهم، بدليل قوله ﷺ: **«لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** -يحذر ما فعلوا-»، وقد روي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإنه لما وجد قبر دانيال في زمنه بالعراق أمر أن يخفى عن الناس بأن يدفن في قبر من ثلاثة عشر، وأن تعمى تلك الرقعة التي وجدوها عنده، وكان فيها شيء من الملاحم وغيرها، والله أعلم. (ص٦٧).

عن أبي سعيد رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه**»، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟**» [أخرجاه]، ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد! إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد، وإني أعطيت لأمّتك: أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلّط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا**» [رواه البرقاني في صحيحه، وزاد: «**وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذّابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرّهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى**»][1].

وكطريقة الإمام في العرض، يبدأ ببيان كل مسألة على حدة مما ورد بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وسنكتفي بتعليقه الأخير حيث أكّد أن كل ما تنبأ الرسول صلى الله عليه وسلم به

= ويُروى عنه أيضًا: أنه عندما علم أن الناس يأتون الشجرة التي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها بيعةَ الرضوان فيصلون عندها، فبلغ ذلك عمر فأوعدهم فيها وأمر بها فقُطِعَتْ... ولما رأى الناس يُصلُّون في مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم؛ اتخذوا آثار أنبيائهم بيعًا، فمن عرضت له فيه صلاة فليُصلِّ، ومن لم تعرض فيه صلاة فليمضِ». ابن الجوزي «مناقب عمر» (ص١٣٩، ١٤٠) مكتبة الأسرة - ٢٠٠٠م.

(١) نفسه (ص٦٦، ٧٠).

فقد وقع، فقال: «وكل هذا وقع كما أخبر ﷺ، مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول. **الثالثة عشرة**: حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين. **الرابعة عشرة**: التنبيه على معنى عبادة الأوثان»[1].

وفي الكتاب أيضًا: (يحصي الإمام محمد بن عبد الوهاب الذنوب التي تكفّر صاحبها وتعتبر شركًا بالله تعالى، وأكثرها من البدع والخرافات والمغالاة بتعظيم الأحبار والأولياء، ومن الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه، ومن الشرك اتخاذ الرقى والتمائم للوقاية، والتبرك بالشجر والحجر، والذبح لغير الله تعالى، والنذر لغير الله، والاستعاذة بغير الله، والعبادة عند القبور، وأن الغلو في قبور الصالحين يُصَيِّرها أوثانًا تعبد من دون الله، وأن الكهانة والعيافة[2] والتطير والتنجيم من الشيطان، وأورد الإمام الآيات والأحاديث التي تحرّم الاستسقاء بالأنواء، وأنكر على المتصوفة تأويلاتهم وخوارقهم)[3].

ثانيًا: وإذا رجعنا أيضًا إلى كتابه: **«كشف الشبهات في التوحيد»** نجده يردد أفكاره التي تدعو إلى التوحيد الخالص، مستخدمًا المنهج الجدلي في مواجهة خصومه، فيعرض أولًا لاعتراضاتهم، ثم يقدم الأدلة على بطلانها في مثل قوله: «فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة» فإنه يجب الرد عليهم بالرجوع إلى النصوص القرآنية التي تردد دفاع المشركين عن عقائدهم فقد (كانت عبادتهم إياهم -أي الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك- إلا في الدعاء

---

(١) نفسه (ص٧٣).

(٢) العيافة: زجر الطير، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها، وهو من عادة العرب كثيرًا. يُقال: عاف يعيف عيفًا: إذا زجر وحدس وظن.

(٣) العقاد، «الإسلام في القرن العشرين» (ص١٢٥).

والذبح والالتجاء)[١]، ولهذا فلا يختلف موقف اللاجئين للصالحين من الموتى ودعائهم من موقف هؤلاء المشركين.

والقارئ لهذا الكتاب يستطيع أن يعثر على أحد أسباب عنف الحركة الوهابية؛ إذ إنه يرى أن المسلمين المعتنقين لأفكار المذاهب الصوفية في عصره، لا تقل عقائدهم خطورة عما كان عليه الباطنية[٢]، فإنهم بالرغم من إعلانهم الإسلام وأدائهم للصلاة، فإنهم كما يقول محمد بن عبد الوهاب: (أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه، وأجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين)[٣]، ومثل هذه العبارة تكشف عن السبب الذي دعاه إلى العنف والشدة، لا سيما إذا أمعنا النظر في وصفه للمسلمين في عصره بالمقارنة بالباطنية بقوله: (دون ما نحن فيه)، أي أنه لاحظ انحراف مسلمي عصره بدرجة أكبر من انحراف الباطنيين أنفسهم، فقام ليدعو إلى عودة المسلمين إلى التوحيد الخالص، وما هو إلا (إفراد الله بالعبادة)[٤]، وفي هذا التعريف أخذت الحركة السلفية على يد محمد بن

---

(١) محمد بن عبد الوهاب، «كشف الشبهات في التوحيد»، (ص١٢).

(٢) الباطنية: هم الشيعة الإسماعيلية، وهم في الأصل جماعة من المجوس رأوا شوكة الإسلام قوية لا تقهر فسلكوا طريق الاحتيال الذي يوصلهم إلى مآربهم وأهوائهم، فتلفعوا بالتشيع والموالاة لأهل البيت، وتظاهروا بالورع الكاذب واحتالوا بتأويل الشريعة إلى الإباحة والإلحاد، ويرجع تلقيبهم بالباطنية لقولهم بباطن القرآن دون ظاهره، أو لقولهم بالإمام الباطن المستور... ومما زعمته الباطنية أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها وتأوّلوا في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩]، وحملوا اليقين على معرفة التأويل... ونبتت نواة هذه الطائفة زمن المأمون. (المصدر: د/ محمد حسين الذهبي «التفسير والمفسرون» (٢/ ٢٣٥) وما بعدها، دار الكتب الحديثة - القاهرة - ١٣٨١هـ - ١٩٦١م).

(٣) محمد بن عبد الوهاب، «كشف الشبهات في التوحيد»، (ص١٢).

(٤) نفس المصدر (ص٤).

عبد الوهاب دور المقاومة لنظريات الصوفية المنحرفة عن الشرع ومذاهبهم، داعية إلى التمسك بعقيدة التوحيد الإسلامي الخالص.

وفي معارضته الشديدة للغلو في الأولياء يقارن بين مكانة الرهبان عند النصارى وموقف الغلاة من المسلمين بالنسبة للأولياء، فيأتي بالآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١]، ثم يذكر تفسير الرسول -صلوات الله عليه- لها، وأنها تعني أن اتخاذهم أربابًا كان بسبب قيامهم بتحريم ما أحلّه الله، وإحلال ما حرّمه الله، ثم يذهب بعد هذا القول بأن الأحوال قد تغيرت (حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال وتسمى الولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيرت الأحوال إلى أن عُبد من دون الله مَنْ ليس من الصالحين وعُبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين)[١]، بل إنه يفرد فصلاً خاصًا لكي يشرح أن (من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرّمه، فقد اتخذهم أربابًا)[٢]، ومن مظاهر الشرك عنده أيضًا إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة[٣].

وإذا نحن نظرنا عامةً لنقارن بين أحوال المسلمين في عصر ابن عبد الوهاب وبين تعاليم القرآن الكريم -كما يذكر الباحث الأمريكي لوثروب ستودارد- أي انتشار البدع وعبادة الأولياء وتعدد الفرق الصوفية بسلطانها القوي على المسلمين بعامة مع تفشّي الجهل بالأصول الإسلامية الصحيحة، فقامت الدعوة الوهابية للرجوع إلى الإسلام (والأخذ به على أوله وأصله، ولبابه وجوهره، أي: إنما الاستمساك بالوحدانية التي أوحى الله بها إلى صاحب الرسالة ﷺ)[٤].

---

(١) نفس المصدر (ص١٤٠).

(٢) نفس المصدر (ص١٣٥).

(٣) نفس المصدر (ص١٣٣).

(٤) لوثروب ستودارد، «حاضر العالم الإسلامي» (ص٣٨).

ومن العجب أن محمد بن عبد الوهاب نفسه قد بدأ في مستهل حياته دراسة فلسفة الإشراق والتصوف[١]، يقول صاحب كتاب «لمع الشهبات»: «وإني سمعت بعضًا من أهل البصرة يقول: حدثنا رجل أعجمي أصفهاني عن أمر محمد بن عبد الوهاب أنه بعد ما تمرّن في الحكمة الإشراقية وعلم التصوف جلس في الخلوة واعتزل عن الناس ستة أشهر»، أي أن أثر التصوف الذي غرق فيه العالم الإسلامي حينئذٍ كاد يمتد إليه، لولا دراساته لكتب ابن تيمية التي أنقذته من الوقوع في براثن التصوف الإشراقي، وكان دافعه منذ البداية هو طمس معالم الوثنية والعودة بالمسلمين إلى التوحيد الخالص.

لقد رأى الناس (قد علقوا آمالهم وأعمالهم على غير الله، واطمأنوا إلى المخلوقات يستشفون بها من أمراضهم وعِللهم، ويجعلونها وسائل لأعمالهم وأرزاقهم.. فلم يجد شيئًا يبعث فيهم الحياة الصالحة إلا الرجوع إلى عقيدة التوحيد، أي: الإيمان بالله وحده[٢]).

لقد جلس في بيته ينظر في الكتب ثمانية أشهر..

وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، ويجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨].

مصطفى بن محمد حلمي

١٧ محرم ١٤٤٣هـ

٢٥ أغسطس ٢٠٢١م

---

(١) جمال بن أحمد الريكي، «لمع الشهبات في سيرة محمد بن عبد الوهاب» (ص١٩، ٢٠)، تحقيق: الدكتور: مصطفى أبو حاكمة، ود. محمد بديع الشريف «الصراع بين الموالي والعرب» (ص١٤٠).

(٢) د. محمد بديع شريف، «الصراع بين الموالي والعرب» (ص١٤٢).

ملحق رقم (١)

تقويم المستشرق الفرنسي هنري لاوست لدعوة محمد بن عبد الوهاب

قال تحت عنوان (ابن تيمية والحركة العصرية الإسلامية): لقد قيل عن ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية أنهما وجهان من العصر المملوكي، تمتعا بقدر كبير من الأصالة في النظم الإسلامية، وكانا من الذين لا يألون بالتعب في سبيل القضاء على البدع المستحدثة. ثم انفرد كلٌّ منهما في عصرنا الحاضر بتمجيد أتباع الدعوة الوهابية العصرية الإسلامية، قد يبدو غريبًا بادئ ذي بدء أن مذهبًا محافظًا إلى هذه الدرجة -كمذهب ابن تيمية- يمكن أن يعود إلى الظهور، وأن يتجدد على يد جملة من الاتجاهات يطلق عليها اسم الحركة العصرية الإسلامية، والتي تعتبر من أهم ملامح الرأي العام الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن الماضي[(١)].

وعن تأثير الإمام محمد بن عبد الوهاب بالشيخ رشيد رضا قال لاوست: «بدأ رشيد رضا اعتبارًا من ١٩١٨م، يهتم بجذور وتطور الحركة الوهابية، فظهر بالمنار سلسلة من المقالات، تعتبر بحق الدفاع الأول الفعّال عن الوهابية التي كان الرأي العام الإسلامي وقتها منحازًا ضدّها بصورة جماعية. وفي عام ١٩٢٥م عند استيلاء الوهابيين على مكة، نشر د/ رشيد رضا في مجلة وبصحف متنوعة بالقاهرة ثم في نشرة خاصة رد اعتبار قوي للدعوة الوهابية مذهبيًّا وسياسيًّا... وقد تطور الارتباط بين الوهابية وبين

---

(١) هنري لاوست «شرائع الإسلام في منهج ابن تيمية - الكتاب الثالث» (ص٥٤) - مراحل انتشار المنهج حتى القرن العشرين - ترجمة وتعليق وإعداد: محمد عبد العظيم علي. دار الدعوة بالإسكندرية ١٩٩٧م.

الحركة السلفية الحديثة بمجرد أن قابل رشيد رضا ملك الحجاز بمكة، وأصبحت مجلة المنار ابتداء من ١٩٢٦ أحد المراكز النشطة للدفاع عن الوهابية بمصر»[١].

ولزيادة الإيضاح: نضيف أيضًا تقويم الأستاذ أحمد أمين لحركة الإصلاح التي قام بها محمد بن عبد الوهاب، فذكر أن أهم مبادئ إصلاحه الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية ودافع عن مبدأ الأخذ بالحديث والاعتماد عليه اعتمادًا كليًّا عكس ما فعل الفقهاء السابقون من أخذهم بالرأي، واقتنع بمذهب أحمد بن حنبل في اعتماده على الحديث... وأبطل الأضرحة وهدمها وحرم لبس الحرير وأي زينة للمساجد وزخرفة في المساجد، كما تشدد في تحريم المسكرات وتحريم التدخين[٢]..

وقديمًا له أسوة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي خشي على المسلمين العودة إلى الوثنية فقطع الشجرة التي كان عندها بيعة الرضوان لما رأى الناس يتمسحون بها[٣]، وقال للحجر الأسود: «لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبِّلُك ما قَبَّلْتُكَ»، واستنادًا إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الله تعالى يبعث في الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها، اعتبر الأستاذ أحمد أمين محمد بن عبد الوهاب من المجدِّدين في العصر الحديث[٤].

تصويب: هذا، وقد قامت الدكتورة فاطمة محجوب -بناءً على دراسة علمية مقارنة بمذهب أحمد بن حنبل- بإثبات أن ابن عبد الوهاب لم ينفرد بمذهب خاص باسم (الوهابية) بل كان حنبليًّا.

(١) نفسه (ص٧١، ٧٢).
(٢) أحمد أمين «يوم الإسلام» (ص١١٩) دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٥٢م.
(٣) (ص١٦).
(٤) نفسه (ص٢٠٦، ٢٠٧).

وبعد أن استعرضت المذاهب قبل الإمام أحمد وصفت مذهبه بدقة أحكامه في إقامة الحدود والقصاص والمعاملات المالية، فالربا حرام في شتى أنواعه بالقليل والكثير من غير محاولة لتحليله وتسويقه، وقد انتشر في بلاد العرب بعد استيلاء آل سعود على نجد ثم انتقل إلى سائر أنحاء الجزيرة العربية... وقد كان للشيخ محمد بن عبد الوهاب أثره الواضح في نشر هذا المذهب؛ لأنه كان يتبع مذهب ابن تيمية الذي كان يمنع التوسل والوسيلة ويمنع التقرب بالموتى ولو كانوا صالحين. وقد أصبحت المملكة السعودية بفضل تمسكها بالمذهب الحنبلي على يد شيخها الحنبلي المصلح محمد بن عبد الوهاب من أفضل بلاد المسلمين تمسكًا بالشرع الشريف وعملًا بأحكامه، وأكثرها تمتعًا بالأمن والسلام في ربوعها.

ومما يُروى عن تشدد الحنابلة -عندما عظم شأنهم وقويت شوكتهم- أنهم كانوا يهاجمون بيوت الدعارة، فإن وجدوا نبيذًا أراقوه وإن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء، وإذا اشتبهوا في سلوك إنسان راقبوه لكشف عوراته ومعاقبته، وغير ذلك من الأعمال المستوجبة للعقاب والتحريم، وهم حتى يومنا هذا ما زالوا يحاربون التدخين ويعتبرونه من الخبائث التي تستوجب الحدود[1].

تذييل: وكان الملك فهد بن عبد العزيز قد أعلن في المؤتمر الأول لوزراء الإعلام للدول الإسلامية الذي عُقد في غرة ربيع الأول عام ١٤٠٩هـ هو أن بعض الكُتّاب في مهاجمتهم للسعودية ينعتوننا بأننا (وهابيُّون) خارجون عن العقيدة الإسلامية، وقال: «أعتبر هذه المناسبة فرصة لكي يعلم إخواننا الإعلاميون أو كُتابنا ويدركوا تمامًا أنه ليس هناك شيء اسمه الوهابية في هذه البلاد»[2].

---

(١) د/ فاطمة محجوب «الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية» المجلد الرابع عشر - (ص٦٣٦). ط. دار الغد العربي - العباسية - القاهرة.

(٢) يوسف أبو الحجاج الأقصري «أسرار الغزو العلماني في الفكر الإسلامي» (ص٤٧) ط. دار عمار للنشر - شبرا الخيمة / ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

ملحق رقم (٢)

مختصر مقال بعنوان:

(العلمانيون العرب... من محنة التنوير إلى محنة الحداثة)

بقلم الأستاذ: محمود سلطان

استهل المقال ببيان أهمية وضع فواصل بين مفهومي «التحديث» و«الحداثة»؛ إذ أن الخلط بينهما أصبح شائعًا، لا عفويًّا إنما كان من قبل «استغفال» العقل العربي والعقل الإسلامي على وجه الخصوص. بل إن الأمر تجاوز الخلط إلى ما يشبه الاستقرار على إحلال كلمة «حداثة» محل كلمة «تحديث» لاسيما إلى مشاكل العالم الإسلامي تحديدًا. ثم يوضح أن «التحديث» لا يعني «الحداثة»، وهو -إذا استخدمنا الكلمة الأولى- تعني معايشة المجتمع روح العصر تكنولوجيا، مع الحرص على عدم السقوط في التبعية للغرب. ولكن «الحداثة» وكما أورد معناها واحد من أبرز نقاد الحداثة في العالم العربي وهو د/ عبد العزيز حمودة، تعني باختصار «تدمير عمد النظام القديم»، وبمعنًى آخر وكما هو ثابت في أدبيات الحداثيين فإنها تعني «القطيعة مع الماضي» ولعل ذلك هو ما أفصح عنه «شكري عياد» عندما لفت إلى «أن الحداثة تستهدف أنسنة الدين.. أي إرجاع الدين إلى الإنسان وإحلال الأساطير محل الدين... وإرجاع المقدسات والغيبيات إلى جسم الإنسان».

وبعد فترة الانكسار التي تلت هزيمة عام ١٩٦٧ وسقوط الحلم العربي، وتنامي المد الإسلامي الحركة نظمت حملات إعلانية ضخمة استخدمت (الحداثة) لشطر الناس في العالم العربي إلى فسطاطين: (حداثي) و(ظلامي).

وكان أبرز تجليّات فكرة (أنسنة الدين) وباسم هذا المصطلح الجديد «الحداثة» كانت مجموعة دراسات د/ نصر أبو زيد، المدرس بكلية الآداب جامعة القاهرة التي تقدم بها في مايو من عام ١٩٩٢م للجنة العلمية الدائمة لنيل درجة الأستاذية، وأثارت في حينها معركة كبيرة امتدت من عام ١٩٩٢م إلى عام ١٩٩٥م، وزعم أبو زيد في إحدى دراساته بأن الإمام الشافعي هو الذي أسس السنة، وأنه أسس لعروبة القرآن، وأسبغ صفة البشرية على القرآن الكريم ووصفه بأنه منهج ثقافي... وليس وحيًا! واتهم علوم القرآن بالرجعية، ودعا إلى ما أسماه تحرير الإنسان من عبودية الله تعالى.

ومن الأهمية الإشارة إلى أن مصطلح (الحداثة) هو وريث مصطلح (التنوير) الذي ظهر في أوروبا ومضمونه المعرفي هو العداء لأية سلطة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عباده، مع إنكار الغيب والجزاء الأخروي... والنفس ليست إلا حياة الجسم تفنى بفنائه... وليس هناك وحي مقدس سوى الطبيعة..

والذين يكتبون عن التنوير في عالمنا العربي فإنهم يقصدون هذا المضمون، يقول د/ مراد وهبة، وهو واحد من أبرز المدافعين عن التنوير، والتنوير يعني أنه لا سلطان على العقل إلا العقل.

وانتهت أزمة أبو زيد بتوثيق تهافت الحداثة -أكاديميًّا-؛ إذ أحصى له الدكتور محمد عمارة ما يزيد عن ثلاثين خطأ تاريخيًا وعلميًّا، ووصفها بأنها لا تليق بأستاذ متخصص في دراسة وتدريس الإسلاميات، بل بعضها لا يقع فيها طالب علم مبتدئ، فضلًا عن قيامه بعملية تزوير فاضحة لنصوص اقتبسها من دراسة سابقة للشيخ محمد أبو زهرة، صدرت عام ١٩٤٨م عن (أبي حنيفة).

وبعد إسدال الستار على قضية (أبو زيد) بخمس سنوات، والتي انتهت بثبوت تهافت الحداثة أكاديميًّا، أصدرت وزارة الثقافة رواية «وليمة أعشاب البحر» للسوري/ حيدر حيدر، وأماطت الستار عن الوجه الآخر للحداثة السوقي والمبتذل.

ويكفي استعراض خلاصة رأي مجمع البحوث الإسلامية، التابع لمشيخة الأزهر في الرواية، إذ يقول البيان: «إن الرواية مليئة بالألفاظ والعبارات التي تحقر وتهين جميع المقدسات الدينية بما في ذلك ذات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والقرآن الكريم واليوم الآخر والقيم الدينية»[1].

---

(١) باختصار شديد، إذ يقع المقال في نحو عشر صفحات من مجلة «المنار الجديد» العدد ٢٣ صيف ٢٠٠٣ جمادى ١٤٢٤هـ - يوليو ٢٠٠٣م، وكاتبه (رئيس تحرير موقع محيط الإخباري على شبكة الإنترنت).

المحتويات